بنت الباشا

أسامة علي الصادق

بنت الباشا / رواية
أسامة علي الصادق
الطبعة الأولى ، ٢٠٠٩

دار اكتب للنشر والتوزيع
القاهرة ، اش المعهد الديني ، المرج
هاتف : ٠٢٢٤٤٠٥٠٤٧
موبايل : ٠١٢٩٢٥١٥٩٢ - ٠١٨٢٣٦٣٠٣٥
E – mail : dar_oktob@gawab.com
المدير العام :
يحيى هاشم
تصميم الغلاف :
المهندس/طارق الصادق

رقم الإيداع : ٢٠٠٩/١٠٧٥٧

I.S.B.N:٩٧٨- ٩٧٧- ٦٢٩٧- ٠١٠- ٣

بنت الباشا

رواية

أسامة علي الصادق

الطبعة الأولى

٢٠٠٩



دار اكتب للنشر والتوزيع

الفيـــوم

تقع أحداث تلك الرواية في مديرية الفيوم والـــتى تقـــع فى الجنوب الغربي لمديرية الجيزة ولا تطل على نهر النيل مباشـــرة ولكن بحر يوسف يمد لها شريان الحياة. الفيوم من مـــديريات الإقليم المصري فى خلال تلك الحقبة الزمنية من بدايات القـــرن العشرين وقد جثم الاستعمار الإنجليزي على مـــصر ومـــازال الشعب المصري ثائراً هادراً منذ الثورة العرابية بقيادة الـــزعيم المصري الوطني أحمد عرابي وصولا إلى مصطفى كامل ومحمـــد فريد وسعد زغلول ..

الصبى "مصطفى ربيع" من مديرية الشرقية وبالتحديد مدينة أبو كبير والذى درس بالمدرسة الثانوية ثم تلاها بمدرسة الزراعة العليا "كلية الزراعة" والذى سمع وشـــاهد الكـــثير وعاصـــر تجاوزات الاحتلال الأجنبي. ورغم أن والده كان من كبار تجار القطن وميسور الحال إلا انه كان وطنياً لا ينظر إلى ما يمتلكـــه الأب حيث كان راغباً بان يصبح مثل سعد باشا زغلـــول أو طلعت حرب باشا مؤسس الاقتصاد المصري الحديث فى صوره المتعددة سواء بنك مصر أو شركاته التى تعدت الخمس عـــشرة شركة مازالت تخدم الوطن حتى الآن.

تخرج من مدرسة الزراعة العليا عام ١٩٤٢ وعمـــل فـــور تخرجه بأحد "الوصايا" أو ما نطلق عنه الوسية وهى تعنى العزبة

الكبيرة والتي يمتلكها أحد باشاوات مصر وهو عبدالغفار باشا النحلاوى والذي كان نائبا بمجلس النواب المصري "مجلس الشعب" وهو رجل مهذب يحمل في طياته حسن الخلق وكريم الخصال و لم يكن يستعفى على العاملين عنده سواء بما يملك أو بوضعه كعضو بمجلس النواب. تقدم الشاب مصطفى إلى الوظيفة التي أعلنت عنها إحدى الصحف اليومية ولكن ناظر العزبة بيومي أفندي رفض تعيينه.

كان للحظ نصيب مع هذا الشاب حيث حضر الباشا إلى مكتب ناظر عزبته في أحد الأيام طالبا منه البحث عن شاب يعمل لديهم على أن يكون من مديرية الشرقية حيث عاتبة أحد الباشاوات الشراقوة في مجلس النواب بأنه قد نمى إلى علمه بأنه يكره أبناء الشرقية وهو لا يعلم السبب في ذلك؟

عرض عليه بيومي أفندي ناظر العزبة الطلب الذي تقدم به الشاب مصطفى ربيع للعمل كمهندس زراعي مبتدأ والذى رفض تعيينه نظراً لبعد المسافة بين العزبة بالفيوم وبين محل إقامته بالشرقية. ابتسم الباشا طالبا تعيينه بأجر مرتفع حتى يكسب ثقة صديقه الباشا الشرقاوي.

عُين الشاب بمرتب مضاعف عن أقرانه بل زوده الباشا بسكن خاص وهو منزل صغير تحيط به حديقة جميلة حتى إذا حضر صديقه الباشا أظهر له مدى حبه لأبناء الشرقية.

بعد عدة أشهر من بدء عمل المهندس الـــشاب استـــضاف عبدالغفار باشا صديقه الشرقاوي وعرجا على مترل المهنـــدس مصطفى وأعجب الباشا الشرقاوي بمترله وحالته فسأله من أي مديرية بمصر فأخبره بأنه من مديرية الشرقية. هتـــف مهلـــلاً معتذراً لصديقه عما راوده من ضيق لاتمامـــه بعـــدم مراعـــاة اهتمامه بأبناء الشرقية!

مضت الأيام والشاب يعمل بهمة ونشاط فى تلك العزبة مما أثمر بعد عدة أعوام عن زيادة فى إنتاجها وقـــد أســـعد هـــذا النحلاوى باشا فغمره بعطفه وحبه ورفع راتبه وعين له إحدى الخادمات لتقوم على مصالحه.

فى أحد أيام شهر مايو وقد أقبل فصل الصيف شديد الحرارة جلس الشاب أسفل احدى أشجار التوت يلتقط أنفاسه مبتعداً عن حرارة الشمس حيث وقت الظهيرة والشمس عمودية ولهذا منح العاملين فى الحقل راحة ساعتين حتى لا تـــضرهم شـــدة الحرارة.

ظل فى راحته هذه ومازال قابعاً في ظلال الشجرة وقد هبت نسمات رطبة لطفت من حرارة جسده الهزيل فراح فى نومـــه وهو مازال جالساً يستريح على جذعها. لم يدر الوقت الـــذي قضاه فى تلك الغفوة ولكنه انتبه على صوت فتاة تحادثه:

– أنت تعبان من الحر وإلا من الشغل؟

تنبه على هذا الصوت وأن إنساناً يحدثه فنهض من غفوته فشاهد حسناء جميلة تقف أمامه أسفل الشجرة وبجوارها "فرس" جميل رائع وقد أطلق عليه الباشا لقب "رهوان" لسرعته وخفته فى العدو. كما كانت الفتاة ترتدي زى الفرسان الذي نشاهد بعضهم فى مسابقات الخيول.

مازال جالسا فارداً ساقيه للإمام وحادثها بقليل من الاكتراث والاهتمام.

- فعلا أنا مريح شوية من الحرارة الشديدة.

- أنت مش خايف أن الباشا يعرف ويمكن يسبب لك مشكلة؟

- أبدا أنا مش خايف من الباشا لأن ما فيش حد يخاف من اللى بيحبه

- بيحبه !! يعنى أنت عايز تعرفني أنك بتحب الباشا؟

- أيوه طبعا .. لكن أنتِ مين؟ نازله سؤال ورا سؤال وراكبة الفرس الغالي ده ولابسه لبس الفرسان ..إيه حكايتك؟ يمكن تكوني قريبة الباشا وإلا من أصحاب بناته أو أولاده؟

بضحكة جميلة تجيبه:

- هو أنت تعرف ولاد وبنات الباشا؟

- أعرف علاء بيه بس لكن حاجة تانية ما أعرفش

- يعنى متعرفشى "شيرين" بنت الباشا؟

- لا والله وأعرفها منين؟ أنا يدوب مشغول وماليش دعوة بحد غير شغلي وناظر العزبة وسعادة الباشا. لكن أنتِ واقفة ليه؟ خايفة أن هدومك تتوسخ من تراب الأرض؟

- لا أبدا. وعلى كل حال أدى قاعدة.

- لا .. لا .. تفضلي هنا مكاني واسندي ضهرك على الشجرة أحسن. لكن انا لحد دلوقتى معرفتش أنتِ تبقى مين؟

- أنا أبقى مين يا مصطفى .. أبقى مين .. أبقى شيرين النحلاوى!!

ينتبه مصطفى وينظر إليها محدقاً متسائلاً:

- لكن عمرى ما شفتك؟

- فعلا أنا كنت مسافرة فرنسا بادرس ورجعت من يومين لكن يكون فى علمك أنا بحب العزبة مووت وحتلقانى كل يوم ماشية فى الأرض وأشوف الفلاحين وأشوف الزرع. انا غير علاء أخويا. ابتسم قائلاً:

- "الحمد لله" .. بدهشة!!

- مش مبسوط من علاء؟

– أبدا أنا مليش بيه أى صله. دايما زعلان وقرفان من كل الناس الموجودة هنا.

شاهد الحصان يضرب بحافره أرضا فنهض معتذراً بأنه سوف يحضر ماء لكى يشرب الحصان لأنه طلب الماء. ضحكت وهى تتساءل بعد أن غادر المكان.

– هو أنت بتعرف فى لغة الخيل؟ نظر إلى الخلف جهتها باسماً.

– الخيل والغزال. تكمل حديثها وهى باسمة:

– هو فيه غزال فى المزرعة. عاد حاملاً وعاءاً مملوءاً بالماء ووضعه أمام الحصان ثم اقترب من مكان جلوسها.

– أيوه .. من النهاردة فيه غزالة شاردة ويمكن تفضل معانا على طول لكن حاخد بالى منها. بخجل تنظر إلى الأرض قريباً من ساقيها وهى تمسك بإحدى أفرع شجرة جافة صغيرة وتخطط بها.

– أنت باين عليك شقى؟

– أبدا والله. لكن أنا زى الفراشة اللى تشم ريحة حلوة وتشوف حاجة جميلة فتروح عليها على طول.

– بس الفراشة بتروح على أكتر من زهرة وأكيد أنـــت ح تعمل زيها

– أنا بشر ومليش غير زهرة واحدة. ابتسمت واستأذنت ف مغادرة المكان.

فى المساء جلست شيرين فى فراندة الفيلا وهى تـــستمع إلى إحدي الأغاني الجميلة:

الورد جميل جميل الورد

الورد جميل وله أوراق عليها دليل من الأشواق

إذا أهداه حبيب لحبيب يكون معناه وصال وقريب

شوف الزهور وأتعلم بين الحبايب تتكلــم

شوف شوف شوف الزهور شوف وأتعلم

تُحدث نفسها عن هذا الشاب الذي سمعت الثناء عليه من جميع العاملين على ما يقوم به من عمل منذ أن انضم إلى العزبة بعد مغادرهما مصر إلى فرنسا مباشرة.

– ياه .. بقاله تلت سنين لكن بابا ب بيشكر فيه وبـــاين عليه أنه بيحب بابا وكمان باين عليه أنه ح يحب بنت بابـــا!! ضحكت لهذا التعبير ، نهضت متجهة الى حجرهما.

سمعت صوتا أطربها يغنى أغنية قديمة:

مريت علي بيت الحبايب   من اشتياقي أناجي أهله

ما دام مليك القلب غايب   وفي التلاقي يبخل بوصله

وقفت لحظة هنيه   من غير عزول أو رقيب

أنعش فؤادي وعني   بجو فيه الحبيب

نهضت من سريرها ونظرت من خلف الستارة الرقيقة فشاهدت مصطفى يسير قريبا من الفيلا وهو مازال يدندن بأغنيته. تحرك قلبها والتي شعرت به كأنه أرض جف طينها وأصبحت غير مثمرة.

تحدث نفسها: ياه .. لقد رفضت الاقتران بجميع الشباب الذين تقدموا أو حاولوا التودد لي ومازلت رافضة لأي علاقة مع أي شاب رغم ثرائهم ورغم مراكزهم الاجتماعية ثم أشعر بالهوى نحو هذا الشاب الذي قابلته عصر هذا اليوم .. إنه لشيء محير ومثير للاستغراب والدهشة.

عادت إلى سريرها تحاول فرد ستارة النوم الحريرية على جسدها دون فائدة فقد استطاع قلب مصطفى أن يترع تلك الستارة الواهنة عن جسدها وعقلها فترك جسدها عاريا من نوم مريح وقد دفعها هذا إلى بركان أضرم بعقلها وقلبها.

عاد مصطفى إلى استراحته وقد شغلته "شيرين" بعض الوقت كما أسعدته تلك الدقائق التى استمر يحادثها رغم أنها تعـــدت الساعة. حادث نفسه التى هى جارته ومؤنسة وحدته:

جميلة شيرين .. ورقيقه خالص .. طيب وبعدين؟ حاعمـــل زى حسن الجنايني والأميرة بنت السلطان ونتجوز!! الكلام ده فى الروايات وقصة ألف ليلة وليلة .. لا يا شهرزاد الكـــلام ده غير مقبول أو معقول وعلشان كده ح اسكت عـــن الكـــلام المباح .. أدن يا ديك عشان أروح فى نوم هادئ زى شـــيرين دلوقتى وهيا مش فكراني ولو لثانية واحدة. يا بختك يا شيرين.

أصبحت عادة شيرين اليومية التوجه الى الإســـطبل فتجـــد السايس قد أعد لها الفرس لتمتطيه وتتجـــه بـــه إلى الحقـــول للإشراف على العمال وقد أسعد هذا والدها النحلاوى باشـــا الذي كان مشغولا في اجتماعات مجلس النـــواب ومـــشاكله المستمرة مع كلّ من الملك فاروق والإنجليز.

من حين لآخر يربت الباشا على صدره قائلاً:

– والله شيرين طلعت أجدع من ابني علاء الكـــبير وهـــو راجل لكنه مش بيحب الزراعة ولا الأرض ولا الفلاحين لكن شيرين حبيبتي طالعة لأبوها وجدها الكبير محمد النحلاوى.

غـــرام بنت الباشا

تطورت الأمور بين الشابين مصطفى وشيرين إلى صـــداقة قوية لا يفترقان إلا كل مساء. يتجه كل واحد منهما إلى مكان إعاشته لينام مليء جفنيه بعد أن أشرف على الزراعة والعمـــال وبعد أن ارتوت الأرض والمزروعات وبعد أن حصل كل واحد منهما على جرعة حب سواء بالنظرات المتبادلة أو من تماســك الأيدي فى بعض الأحيان أو بكلمات الإطراء كلٌ على الآخـــر مع استخدام الرمز حتى لا يفهم حديثهما أحد. يخبرهـــا بـــأن غزالته اليوم رقيقة وتسمع خفقات قلبه بينما تخبره هـــى بـــأن قطها أليف لكنها تخشى أن يلعب بديلـــه ممـــا يـــدفعهما إلى الضحك سويا.

تدرب مصطفي علي ركوب الخيل وكاد أن يسقط أكثـــر من مرة من فوق صهوة الجواد مما يدفع شيرين للضحك ولكنها لم تتركه وشدت من أزره لمواصلة التعلم علي كيفية التعامل مع تلك الحيوانات الرائعة ، تحدثه: كيف تحدثني عن الخيول بتلك المهارة والعلم دون أن تتعامل معها؟ يجيبها بأنه تعامل معها من خلفية علمية وهي دراسته بمدرسة الزراعة العليا بالإضـــافة إلي الخيول التي كانت في إسطبل عمه بقريتهم حيث إنه من أكـــبر المربيين لتلك الخيول وكنت أنا وابنه رشيد نـــساعده خـــلال

الأجازة الصيفية من الدراسة فعلمت الكثير من أمور الخيـــول لكنني لم أتشجع أو اقترب منها لامتطـــاء صـــهوتها وهنـــاك اختلاف واضح بين الرعاية والإشراف وبين أن تصبح فارســـا فلكل نوع من تلك المعاملة أسلوب مخالف للآخر.

بعد عدة محاولات للتدرب نجح مصطفي أخيرا في أن يتعود علي التعامل مع الخيول من الناحية الأخرى وهـــي الفروســـية وليست خدمة الإسطبل كما كان يفعل ويقوم لدي عمه ولهذا تشجع في تلك الممارسة وأصبحت حركته أســـرع في المـــرور علي أرجاء العزبة مترامية الأطراف يعود بعدها ليحصل علـــي راحته أسفل الشجرة التي جمعته بشيرين.

أصبحت شيرين هي الأخرى تستعجل ميلاد نهـــار ليـــوم جديد حتي تتوجه إلي الحقول ممتطية فرسها بخـــيلاء الأنوثـــة والجمال والشباب حتي تلاقي الحبيب الذي نبت لها فجأة بعزبة والدها بين النباتات والأشجار. شعرت بأن مشاعر الحب تنمو بينها وبين مصطفي مثل نمو النباتات بالأرض الطيب ولهذا يجب عليها رعايتها وتزويدها بكل ما يلزم من وسائل الحياة حـــتي تنمو وتزدهر.

في بعض الأحيان يعتريها نوع من التردد علي تلك العلاقة ، فهي راغبة في الارتباط بهذا الشاب وليس في فكرها إقامة علاقة ما مثل ما شاهدت في فرنسا أثناء الدراسة أو مثل بعض بنات

العائلات الراقية في مصر المتشبهات بالدول الأجنبية ، فعلاقة الرجل والمرأة الغرباء بعيدا عن العمل لابد أن تصب في القناة الشرعية وهي الزواج.

متحيرة أحيانا: هل مصطفي مناسب لي وهل هو الرجل الكفء الذي أسلمه جسدي وحياتي وعمري بعد ما سلمته قلبي؟ كانت أسئلة كثيرة لا تجد لها إجابة شافية سوي شيء واحد كان يزيل التردد ويلجم اللسان عن أي سؤال ، لقد كانت الكلمة ذات الحرفين "حب" لا استطيع التحكم فيه فلا استطيع أن أمسك مشاعري وأحبسها بعيدا عن هذا الحبيب الذي يوقظني من نومي ببسمة سعيدة قبل أن تصل إلي الشفاه تكون قد تربعت بقلبي وحركت هذا الفؤاد المختفي بداخل جسدي فيحرك كل شيء في جسدي سواء ببهجة أو بنشوة أو بالشعور بالتفاؤل والانشراح.

لم يسبق لي أن دخلت تلك التجربة من قبل ، وهل لو دخلتها سوف أصبح متمرسة علي التحكم في مشاعري وأهوائي؟ لا أعتقد بل سوف أصبح مثل السيارة التي تتحكم بها عن طريق عجلة القيادة والفرامل ودواسة البترين ، سوف أصبح ألة ولن أكون هالة جميلة تقابل طيفا تتعانق فيه القلوب قبل الأجساد.

في بعض الأحيان تهاجمني الرغبة بأن أفتح خزانة قلبي لصديقتي وزوجة شقيقي علاء بما أكابده من مشاعر صادقة

تجاه هذا الشاب الوافد من شرق مصر والـــذي غـــزا عزبـــة النحلاوي بسلوكه المهذب مع الجميع وبنـــشاط ودأب علـــي العمل وبعلمه الذي حصل عليه ويقوم بتطبيقه ، لكني أتراجـــع وأشعر بأن تلك المشاعر هي ملك خاص لي لا استطيع أن أبوح بها لأي إنسان حتي المشارك والمتسبب به مصطفي ، إنها أسرار قلبي ومفاتيح حياتي المقبلة وخزانة الانفعالات والأحاســـيس ، كيف أعرضها علي كل من هب ودب؟

لكن صافيناز هي صديقتي الوحيدة التي أثق بها رغم أنهـــا لم تشاركني مشاعرها التي كانت تلازمها حين تقدم شقيقي علاء لها ، لماذا لم تشاركني تلك المشاعر؟ أعتقد بأن السبب الرئيسي في ذلك هو شعورها بأنني أصغر منها عمرا ولا يجب أن تفـــتح عيني علي مثل تلك المشاعر من حب وأحاسيس تمـــشيا مـــع عادات المصريين الملتزمين بالوقار والدين بأن هذا لا يجـــب أن يكون.

سوف أستعيد وقاري حيث أشاهد الغبار الناتج من ضربات الحصان الذي يمتطيه مصطفي ، يجب أن أعود إلي حالتي مـــن الجدية والوقار وأبعد عن تلك المشاعر التي أثرت علي جسدي وبشرتي فدفعت بدماء الشباب إلي وجهي مما جعـــل بـــشرتي نضرة حمراء تكشف أسرار ما كنت أفكر فيه حتي لو أمام هذا الحبيب الذي تركني منذ ساعة وعاد ثانية ليتحجج بحجج واهية بأنه أنهي المرور علي الجانب الآخر من العزبة وأتي ليتابع بـــاقي

الأحواض ولكنها حجج فاضحة أمام الحبيبة أيها الحبيب الولهان.

لماذا توقف بالحصان لمسافة أبعد عن المعتاد؟ هل غير من رأيه ويريد العودة؟ لكنه هبط من فوق ظهر الحصان ويسير متجها ناحيتي واللجام بيده.

– تأخرت عليكِ

– أبدا .. دا أنا افتكرت إنك مروح ناحية عنابر تسمين المواشي

– لا رحت لكن خلصت وقلت أجي أريح شويه وأتعطر هنا تحت الشجرة!!

– تتعطر يا مصطفي.. سيبك من اللكاعة دية .. أنت حر.. الباشا ممكن يعرف ويخصم لك كام يوم ، بتضحك!! أنت حر

– يخصم سنه مش مهم لكن المهم إني ما ضيعشي كام دقيقة حلوه من النظرة في عيون الحبيب

– يخرب عقلك .. مصطفي بلاش الكلام الناعم ده .. كلامك بيلخبط أي ست .. أرجوك

– أنت مش أي ست ، أنت حاجه من السما ، بخاف أن الحلم ده ممكن يروح مني ، حنفضل نتكلم . تعالي بفرسك ونلف شويه نشوف الفلاحين عشان تفتحي نفسهم بكلامك الجميل وبحسن خلقة ربنا.

أتبع هذا الحبيب مثل ظله ، فإذا انحرف يمينا انحرفت لنفس الجهة لو توقف أتوقف بنفس الفاصل والمسافة التي كنا نسير عليها ، لا أتحدث قبل أن يتحدث فأنا مصغية لحديثه ، لقد أغلقت فمي و لم يعد يعمل إلا للمساعدة علي التنفس وإخراج الزفير ، أذني شديدة الحساسية وعيناي كأنهما عينا صقر وقلبي خرج من موضعه وجلس بجوار مصطفي ، يسمع نبضات قلبه وتشنجات صدره ، يحدثني فلا أجيبه وكلي رغبة في أن تلتقط أذني أسرار كلماته قبل أن يتفوه بها ، يبتسم لي بسعادة ويشير إلي بأنني قد توقفت عن الحديث ، وضع كف يده علي فمه كأنني أغلقت فمي بالضبة والمفتاح ، تخرج مني ابتسامة دون إرادتي فيهلل لها كالطفل مصفقا سعيدا فتصدر من فمه أصوات السعادة الإنسانية بنغم حالم كامل ، لا استطيع غلق فمي وطرد ابتسامتي ، مازالت الابتسامة واضحة مستمرة دون حديث ، أشعر بألم في فكي فالفم واسع دون إرادة مني ، أشعر بأنه لو تكرر هذا الحدث سيصبح فمي أكبر حجما من فم سيد أفندي قشطة والذي كنت أشاهده في حديقة الحيوانات . ماذا أفعل؟ كيف التصرف أمام سحر هذا الشاب ، لابد من الانسحاب والمغادرة ، أدرت رأس فرسي وأسرعت بالهرب من المكان ، أسمع ضحكاته المقرونة والمستفسرة لماذا العودة ، أرجوك توقفي ، ابقي بجواري ، أسمع حافر الحصان محاولا اللحاق بي ، فأسرع الخطا ، أشعر بأن الفرس التي أمتطيه قد أنهكته السرعة بل أشعر بأنني سوف أسقط من فوقه ، أنظر إلي الخلف

فأشاهده قد اقترب مني ، ماذا أفعل؟ أشعر إنني طائرة في الهواء، خرجت مني صرخة مكبوتة و لم اعد أشــعر بــشيء ، حــتى أصواته الضاحكة ابتعدت عن أذني و ...

انتبه على صوته يحدثني متخوفا من حدوث شيء خطير أو إصابة.. انتبه لحديثه وكلماته ، أفتح عيناي لأشاهده جاثما قريبا من وجهي وصدري وأنا مسلتقية فوق أكوام تــبن القمــح ، خشيت القيل والقال وأن يشاهدنا البعض وما أكثر العــاملين بالعزبة رغم أنني كنت أشعر بسعادة لا مثيل لها فلم يــسبق أن اقترب مني بمثل تلك المسافة القصيرة ، أشعر بأنفاســه تلفــح وجنتيي ثم ترتد إليه ، أحرك يدي وأمسك وجهــه أتلمــسه ، أبتسم له ، يعود برأسه للخلف قليلا ، أشاهده ضاحكا يــشير بيديه كأنني مجنونة أو أن عقلي اختل ، أشير إليه بأن يقترب .. اقترب مني مجيبا إشارتي مثل ما تشير إلي قط صغير أليف فيطيع دون تردد ، وضعت ذراعي حول رقبتــه وجذبتــه نحــوي ، اقتربت الشفاه أكثر فأكثر ، لا أستطيع المقاومة ، لو أهــدت الدنيا لن أتركه ، لا أشعر بشيء فما شعرت بــه لا أســتطيع وصفه ، إنه شيء ساحر كامن بالإنسان يسعد أمة فما بالــك بفتاة.

أشاهده يقف بعيدا عني بعدة أمتار واضعا كفه الأيمن علــى فمه وكأنه سرق شيئا ومازالت السعادة بادية في عينيه تلــك السعادة التي شاهدتها قبل أن تلتقي الشفاه ، عاونني علي امتطاء صهوة الفرس ودفعه بيده فتحرك بينما أنا أميل إلي الأمام كأنني

مصابة بضربة شمس ، توقف الفرس أمام الإسطبل وأسرع السايس وحضر وأمسك باللجام ، هبطت من فوق ظهره بكسل وخمول حتي إذا وصلت قدماي الأرض سقطت و لم تستطع تحمل وزني ، تنبهت علي صوت السايس " ألف حمد لله بالسلامة يا ست هانم .. انده علي البت رتيبة" أشرت إليه بألا يفعل ، نهضت بصعوبة ، توجهت مترنحة إلي القصر ، دخلت شبه مصابة بالحمى ، أسير بتثاقل حتي شاهدتني الدادة أم حافظ فأسرعت إلي وطلبت مساعدة بعض الخدم ، أتين مسرعات وحُملت إلي السرير ، أشرت إليهن بعدم إزعاجي وأنا بخير لكني أرغب في الاسترخاء قليلا ، انصرفن ، قفزت من سريري سعيدة مهللة ونزعت ملابسي الخارجية وبقيت .بملابسي الخفيفة الشفافة ، اتجهت إلي المرآة ، شاهدت تضاريس جسدي وكأني أشاهدها لأول مرة ، تحسست صدري ومقدمة بطني ، تحسست ذراعي وملست علي خدي رتبت شعري الطويل ، أدرت ظهري للمرآة ثم تذكرت ما تم بيني وبين مصطفي ، عدت مسرعة أشاهد تلك الشفاه التي أدت إلي سكرتي منذ عدة دقائق ، شاهدت أنهما شيئا آخر ، شيء غريب علي عيوني كأنهما زهرتان تطيران في الهواء من تأثير الرياح وأنا أتبعهما ، صرخت وصفقت فأسرعت النساء بالدخول ، أشرت إليهن بالمغادرة وظللت أتابع المرآة التي نقلتني إلي جهة أخري وإلي شيء آخر لا أستطيع وصفه ، أسرعت إلي السرير ، تمددت به علي أي جهة وبأي وضع و لم أشعر

بالنوم ولكني شعرت بأن روحي خمـدت وأنفاسـي قُطعـت وغابت الأصوات ، حاولت الإفاقة لم أستطع وأيقنـت بـأن حياتي انتهت عند هذا الوضع شكرت الله بأن أسعدني قبل أن أقابله حتي أكون مستعدة لحساب الملائكة وبحالة مزاجية طيبة..
تكررت اللقاءات ، كنت أخشي التمادي في حبي وانـدفاعي نحوه ، لقد كانت تجربة الأمس شديدة علي مشاعري وشعرت بأنني أضعف مما كنت أتصور وأتخيل، كنت أعتقد بأنني قويـة ومتماسكة ولكن هذا الشاب قلب كياني رأسا علـي عقـب وبالتالي لا أستطيع منعه وإبعاده عني ، خشيت سوء العاقبة وقد نتزلق إلي ما أخشاه ، قررت أن احتاط للأمر ، قربه مني يجعلني عجينة لينة في يده ، أشاهده مقبلاً نحوي وابتسامة الأمس الـتي قلبت كياني أشاهدها عليه ، كأنها عدوي أصيب بها من لقـاء الأمس ، أحاول التماسك وأن أكون قوية ، وقف أمامي ينتظر أن أبدأه بالحديث ، مازالت ساكنة هادئة ، انحني قريبـا مـني ووضع قبلة صغيرة علي خدي ، شعرت باضطراب في البداية ، دفعته في صدره بهدوء ، عاد ووقف أمامي ينتظـر إشـارتي ، أحادثه:

- مصطفي.. لم أستطع تكملة ما كنت أرغب بالحديث به

- أيوه .. وبعد مصطفي فيه إيه؟

- ناخد بالنا والحيطان لها ودان

- كلامك مظبوط .. امبارح كان يوم من عمـري لكـن خفت إننا منعرفش نتحكم في عواطفنا وتبقي مش كويسه قدام

ربنا وبعدها الناس .. أنا بحبك ولازم أخاف عليك وأنت بنت أحب الناس إلي بعد المرحوم أبويا .. ربنا يخليه ليكي وليا.

- كده كويس .. نقوم نشوف شغلنا

- يا لله بينا

أشاهده موجها الفلاحين لأعمالهم مرشدا موجها بطريقة هادئة تخلو من العنف وارتفاع الصوت .. أشعر بسعادة بـأن هذا الشاب الرقيق هو حبيبي الذي أحلم به في منامي وأتخيله في صحوتي ، لم أعد أفعل شيئا فكل ما يسعدني هو صحبته وسماع صوته ومشاهدته أثناء العمل.

أحاول وضع معني لكلمة سعادة ، لا أستطيع ، إنها مثل الماء لا لون ولا طعم ولا رائحة ، شيء عالى القيمة فريد الإحساس والمشاعر وأي طعم وتعريف تضعه لتلك الكلمة سوف تقلل من قيمته مثل الماء لو وضعت عليه أي لون أو طعم أو رائحة لما أصبح ماء وأصبح شيء آخر ، اعتذرت له وتركته يقوم على مهام عمله عائدة إلي قصر والدي ، مازال خياله ماثلا أمامي ، أشعر بحالة عالية من الرومانسية المتدفقة ، اتجه إلي الراديو وأدير مفتاح التشغيل فتنساب بعض أغانى وألحان جميلة ، إنها ذات طعم مخالف لما سبق ، فقد كنت استمع لتلك الأغاني والألحان ولم يكن لها هذا الطعم ، ما طعمها ، أضحك من هذا السؤال، فقد سبق وقلت إنها مثل الماء ، أيضا تلك الأغانى والألحان مثل الماء ، إنها رفيقة الحب ، أشعر بنمو في جسدي وفورة داخلية

وإقبال علي الحياة ، أشاهد جميع الخادمات جميلات رقيقات أسمع أصواقمن كأنها قطعة موسيقية صادرة من آلة العزف "ماندولين" أضحك بتلقائية ، أتساءل: ماندولين حتة واحدة يا شيرين تلك الآلة الرائعة والتي كان يعزف عليها الموسيقار عبدالوهاب في فيلم غزل البنات والذي شاهدته في قاعة سينما ريفولي وقد حضره هذا الفنان مع نجومه وأنور وجدي والرقيقة ليلي مراد ، هذا هو الحب ، الكل جميل والحياة رائعة ، أغمض عيني وأروح في رحلة مع الملائكة مشبعة بالحب والموسيقى والنغم الحالم.

*****

أمس لم أدرك وأستوعب ما حدث بيني وبين شيرين ، لا أستطيع التفسير أو التوضيح ، لا أستطيع استرجاع هذا الحلم الجميل ، هل من المعقول أن قبلة خفيفة تفعل بى كل هذا؟ لا أصدق ، ولكن لماذا لا أصدق لقد حدث وفعلت القبلة شيء غريب ورائع ، ولماذا لا أستطيع أن أستعيد تلك اللحظات الفجائية ، لم أستطع مقاومة سحرها وجاذبيتها ، هل أنا محظوظ أو تعيس بحبي لتلك الفاتنة؟. أخشي أن أدمن حبها ولا أستطيع الاقتراب منها بالصورة المعهودة وهو الزواج ، أيقبل الباشا أن اقترن بوحيدته؟ لا أعتقد ، وما الحل أيها المعجب الولهان؟ لا بد من وضع تصور لما قد يحدث في المستقبل بيني وبين الباشا حين أطلب يد وحيدته، لا أجد حلا فهذه معضلة قوية وضعت نفسي بداخلها، سوف أدع الأمور تجري إلي

أعنتها وأبيتن خالي البال وما بين لحظة وضحاها يغير الله من حال إلي حال ، لقد قالها الأقدمون.

سوف أتجه إلي سريري، القي بجسدي المتعب وفكري المسهد فوقه لعل الله يأتي لي بمخرج من تلك الورطة.

كشف سـر العلاقة

مضي علي تلك العلاقة القوية بين مصطفي وشيرين عـــدة أشهر و لم يعيدا تلك القبلة السريعة الخاطفة فقد شعر الاثنـــان بوخز الضمير وفي نفس الوقت شعرا بأهما لن يستطيعا كـــبح جماح تلك العواطف إذا كررا ما سبق وحدث بينهما ، لهـــذا عادا إلي سابق عهدهما في التحدث والضحكات ، أصـــبحت العادة اليومية أن يتناول الحبيبان طعام الغـــداء أســـفل تلـــك الشجرة الميمونة التي كانت تظلل قصة حبهما . كانت الخادمة تحمل لهما الطعام يتناولانه ويستريحان في ظلال الشجرة ثم يبدأ مصطفي عمله ومتابعة العاملين بالعزبة ولا يعودان كل إلي مقره إلا نهاية اليوم وقد استهلكا اليوم عمل وحب دفين أسفل تراب العزبة الطاهر.

فى العادة حينما يأتي الباشا إلى العزبـــة يحـــادث مـــصطفى بكلمات المديح والثناء على عمله وتشجعيه للدفع به إلى الأمام ولكن فى هذا اليوم كان الرجل هادئا رزينـــا وتحـــدث مـــع مصطفى بكلمات مقتضبة حيث بادره:

- صباح الخير يا باش مهندس

- صباح الخير ياسعادة الباشا

- عالى قرب منى يا ابني!!

- حاضر ياسعادة الباشا .. تحدث الباشا فى موضوعات مختلفة لا رابط بينها ثم فاجأه بقوله:

- لو عرفت أن فيه شاب يغازل أختك تعمل إيه؟

اضطرب الفتى وزاد خفقان قلبه وأصبح لا يشاهد الأشياء بوضوح وشعر بأن دوارا أصابه ، حاول جاهداً إخفاء توتره وإخفاء العرق المتصبب من جبينه ، لم يعثر على كلمات يجيب بها على السؤال المفاجئ الذي عرضه الباشا بكل ذوق رفيع.

- أكيد ح تزعل يا مصطفى مش ده يعتبر شرف الإنسان ومن ناحية أخرى عدم أمانة وإخلاص.

بصوت متحشرج ينساب بصعوبة من خلال حنجرته:

سعادة الباشا. لقد أخطأت واسمح لي بترك المزرعة والبحث عن عمل آخر. لقد فقدت أبى منذ عشرين عاما وأنا طالب بالمدرسة الأولى ولم يعوضني أعمامى او أخوالى او إخوتي عن ذلك رغم محاولاتهم ذلك ولكن لحسن حظي شعرت به معك ولهذا فأرجو المعذرة واسمح لي بأن أناديك أبى .. أبى لقد أخطأت فى حقك ولكن بدون قصد والله يعلم كل شيء فلقد شعرت بهذا الإتجاه مدفوعا إليه دون أن أدرى وكما يقول المثل لكل جواد كبوة فأرجو المعذرة وأن تتناسى تلك الكبوة وسوف أدفع ثمنها بعد مغادرتي لعزبتك من أعصابي وتأنيب ضميري.

شعر الباشا بما يكابده الشاب حيث كانت له تجربة سابقة لا يعلم عنها أحد ولكن ملامح ونبرات وصوت الشاب كانت حزينة إلى درجة كبيرة فاضطر إلي أن يطيب من خاطره بوعد أن لا يعود لهذا العمل وسوف يظل فى عمله ويسعده بأن يصبح له ابنا ذو ضمير حي يعترف بشجاعة ويندم على ما فعله. ربت على كتفه مغادراً المكان.

عصر هذا اليوم جاءت "شيرين" كعادهّا تحادثه لكن دون جدوى فقد التزم الشاب بوعده مع الباشا. طرحت عليه الأسئلة وهى التى تجيب عليها لعلها تفوز بإشارة من إصبعه بأن هذا هو الذي حدث. لم يكن مصطفى يخشى الفضيحة أو الضرر المادي لكن طبيعته السمحة ونبل خُلق الباشا وضعه فى هذا الموقف الصعب.

صباح اليوم التالي لم يستطع الشاب التوجه إلى عمله حيث قضى ليلة بائسة نزفت دموعه بغزارة كلما استعاد صوت الباشا وهو يوجه له سؤاله: "هل تقبل أن يغازل أحد شقيقتك"؟. اتجهت شيرين إلى الحقل تتجول كعادهّا وقد فقدت رؤية مصطفى. سألت عنه فأخبرها البعض بعدم مشاهدتهم له ذاك اليوم. توجهت لناظر العزبة مستفسرة منه عن أسباب تغيب المهندس المسئول عن عمله ، أخبرها بتوعكه ومرضه ، تساءلت هل زاره الطبيب ، نفى هذا فتركته منصرفة واتصلت بالطبيب الذي حضر وقام بالكشف عليه وكانت النتيجة بأنه لا مرض عضوي لديه ولكن الشاب أصيب إصابة نفسية جعلته يتقلب

على نيران الألم النفسي وقد يكون أحداً قد أغضبه أو وبخــه توبيخا شديداً مما حداه إلي أن يصف له بعض المهدئات.

حزنت شيرين لهذا وربطت هذا بما بينهما من علاقة وبــين تصرفاته معها بالأمس و لم يهدأ لها بال ،أرسلت بشخص لشراء الدواء.

علمت من الخادمة أن الباشا التقي بمصطفى وتحدثا ســويا على انفراد وبعد مغادرة الباشا المكان سقط الشاب أرضاً أثناء توجيه العمال لأعمالهم فأسرع بعــض المــزارعين بحملــه إلى حجرته.

استنتجت شيرين أسباب المرض وأوكلته لما حــدث بــين والدها ومصطفى. فقد علم بخــبر قــصة حبــهما فــالجميع يشاهدونهما منذ ستة أشهر يتقابلان يوميا ويحــصلان علــى راحتهما ويتناولان الطعام معا بالإضافة إلى الضحك والسعادة التي تلوح عليهما. اتجهت إلى ناظر العزبة وسألته بكل جديــة وخشونة عما أخبر به والدها وفوجئ الرجل بهذا فاعتقد بــأن والدها أخبرها بما نقله إليه وبحالة الغرام والحب التي جمعت بينها وبين مهندس العزبة.. تركته غاضبة بأن يحدث هذا وأن يتطاول بعض العاملين بالقول وأن يصدقه والدها. اتــصلت بوالــدها تليفونيا بالقاهرة طالبة حضوره على الفور .. حضر الباشا وهو يعلم سبب ثورة ابنته التي يدللها ولا يرفض لها طلبا ولا رغبة. في المساء جلسا سويا وبكل أدب وصراحة فاتحت والدها.

- بابا.. انا معجبه بالمهندس مصطفى ولو تقدم ليا انـــا ح أوافق عليه!

صمت الرجل لتلك المفاجأة محاولا استيعابها ، نظر إلى ابنته نظرة حانية من أب راغب فى أن تعدل عن قرارها أو رغبتـــها قائلاً :

- ده آخر كلام عندك؟

- ايوه : وأنا مصممة عليه. تردد بعض الوقت ثم قال:

- مبروك يا شيرين. نهض طابعا قبلة حانية على وجنتي ابنته والتي فاضت دموعها وطالت فستانها مرورا بخديها .. نهـــضت واقفة واتجهت إلى مسكن مصطفى الذي كان يهذى من حمى الإهانة وآلمه شعوره بالخيانة لولى نعمته. فتحت لهـــا الخادمـــة الباب وسألتها عن حاله وقد أجابتها بأن حالته سيئة ويهـــذى بكلمات غريبة وهو يستنجد بك سيدتي حيث يتفوه باسمــك دائما.

أقبلت عليه وهو نائم يُهذى وجففت عرقه الغزير وخاطبته بكل حب ومودة.

- مصطفى قوم .. أنا شيرين .. انتفض لـــسماع اسمهـــا وجلس راغباً فى الابتعاد عنها.

- أرجوكِ أفضلي بعيدة عني .. حرام .. حرام شيرين.

بكل رقة وضعت كفيها على خديه تربت عليهما بهدوء وأخبرته:

- مصطفى. بابا وافق إننا نتجوز. بقولك بابا وافق إننا نتجوز. قوم وصحصح. مالك كده مسهم؟ سقط بعدها على فراشه نائما واندفع العرق الغزير من وجهه ومن بين طيات ملابسه.

جلست تبكي بجواره وقد رق قلب الخادمة وهى فى مثل عمر شيرين محاولة الأخذ بيدها بكلمات طيبة على قدر ثقافتها. أحضرت فوطة تجفف بها عرق مصطفى والذى تنبه وأفاق بعد غيبوبة قصيرة وشاهد شيرين فمد يده إليها واقتربت منه فقبل كفيها وبادلته قبلة علي خديه وأخذت رأسه بين صدرها وهي تربت على صدره وتنثر عليه كلمات طيبة رقيقة.

صباح اليوم التالي تماثل مصطفى للشفاء من علته النفسية وحصل على حمام منعش وسمعت الخادمة طرقا على الباب فاتجهت لفتحه فشاهدت الباشا برفقة شيرين. رحبت بهما ودلفا إلى حجرة مصطفى الذي كان قد انتهى من ارتداء ملابسه. شاهد عيون الباشا والبسمة تطل منهما فأقبل عليه مصافحا مقبلا يده قائلاً:

أهلا أبي. شرفت المكان. نظر إليه الباشا وقد لمعت دموع الفرح والتأثر بعينيه فاحتضنه مربتا على ظهره وقد تأثرت شيرين وبكت من هذا اللقاء التي لم تكن تتوقعه واصطحبهما

الباشا خارجا من الاستراحة وقد احتضن الشابين كل على أحد الأجناب وسار بضع خطوات بهما بهذا الوضع وقد شاهده بعض العاملين بالعزبة والخادمة تسير خلفهم وهنا نظر الباشا خلفه وأشار إلى الخادمة قائلاً:

- زغرودة يا بت علشان ستك شيرين وسيدك مصطفى حيتجوزو

اندفعت الخادمة تزغرد بكل حب وبهجة وأعقبتها بعض النساء القرويات وسرعان ما انتشر الخبر بين أهالي العزبة والذين أقبلوا على دفعات للتهنئة سواء للباشا أو لابنته أو للمهندس الذي تربطه بهم علاقة حب وعمل.. أقيم احتفال كبير وقد شرفه حسن باشا الشرقاوي وأسعده بأن يكون الشاب الذي حدثت بسببه مشكلة مع صديقة النحلاوى باشا هو صهره وزوج ابنته الوحيدة كما حضر الحفل أيضا الأميرالاي حمدي السيد نائب حكمدار القاهرة ووالد صافيناز زوجة علاء النحلاوي.. مضت الأيام بالعروسين تملؤها الرقة والعذوبة والسعادة تحيط بهما ، أصبح الباشا لا يغادر العزبة إلا قليلا فهو سعيد ومستمتع بما يشاهده من حُب بين العروسين والسعادة التي تحيط بهما وخاصة ابنته الصغيرة الرقيقة. لم يعترف الباشا بأن شيرين قد نضجت وأصبحت عروسا وزوجة فهو مازال يعتقد بأنها صغيرته الذي مازال يدللها ويلاعبها ويحصل منها علي بعض القبلات قبل نومه وفور استيقاظه في الصباح.

في أحد الأيام وكان مصطفي جالسا مع بيومي أفندى ناظر العزبة والذي يقارب الباشا عمراً وهيبة سأله سؤالاً لم يخطر لناظر العزبة علي بال:

– ليه سعادة الباشا بيحب شيرين بنته كتير؟ يعني أكتر من المعتاد؟

أجابه الرجل وقد لمعت عيناه ببعض قطرات دموع راغبة في مفارقة مقلتيه:

– شيرين هانم هي الصورة المصغرة لوالدها "نازك" هانم الله يرحمها واللي قابلت ربها وهى شباب ومكملتشي تلاتين سنة. فضل الباشا حزين عليها لحد النهاردة وفي أيام كتيرة كنت أدخل عليه مكتبه في الفيلا ألاقيه سرحان وهو بيشوف صورهم مع بعض وساعات عينيه بتدمع لما يحاول يفتكر تلك الأيام ، ويسألني فاكر يا بيومي افندى "نازك" هانم كانت عامله إزاي؟

الحقيقة المرحومة مكنش لها مثيل ، يعني الجمال مافيش غير نازك هانم ، العلم والثقافة ما فيش حد زيها ، الدين وقربها من ربنا لا يعلو عليها إنسان سواء سمعت عنه أو شاهدته ، من المتعارف عليه أن سعادة الباشا طيب القلب ، هيا كانت أكتر منه، تصور مافيش بنت ولا ست من العزبة إلا والمرحومة قدمت لها الخير ، كانت بتقوم بزيارات لهم أثناء المرض أو تقدم المساعدة المادية من الكسوة في الشتا كمان مكنتش

بتتعالي عليهم وكانت بتقرب منهم وتحتضنهم وتقبلهم وهما لا مؤاخذه في شغلهم متبهدلين وطبعا ريحتهم مش ولا بد لأهم غلابا بيجروا ورا لقمة عيشهم.

ياه!! أيام يا باشمهندس: كانت تبعت ليا كتير وتسألني: ليه مدفعتش أجر الست أو البنت دي؟ أعرفها بأنها غابت أو أن شغلها مش ولا بد. تبتسم ليا وتقول: ما فيش حاجه لوجه الله؟ يعني زكا عن العزبة وعن الخير اللي ربنا بعته لنا ، متكسرشي بخاطرهم والخصم مش حيزود الخير ويمكن يقل ، متعرفشي حالة الناس عامله إزاي؟ دوول غلابا لا تعليم ولا مهنة ولا صحة خليك عطوف عليهم.. تخيل بعد ما تكلمني وتتركني أروح أي مكان مداري وأبكي من كلامها ورقتها ، كنت أفكر: بنت باشا ومرات باشا والعز ده والجمال والعلم وقلبها قريب من الناس ، يا باش مهندس مكنتش بتتزين بالدهب!! عمرك شفت ست مش تحب الدهب؟ الحقيقة شيرين نفس الحكاية!! طبعا ورثت من المرحومة الكتير علشان كده سعادة الباشا مكنش عايزها تتجوز ويقول لي ادعي ربنا يا بيومي افندى أن شيرين ماتوافقش علي أى عريس يجى لها. تصدق حاجة زى كده؟

كان خايف إنها تتجوز وتبعد عنه ، ده معناه مرض أو موت ، تصور كان كل شهر يسافر فرنسا علشان يشوفها ويرجع بعد يومين ، مش بيقدر يستغني عنها ويمكن ده اللي دفعني إني أعرفه عن حالة الإعجاب والتقارب بينكم لأنه كان

موصيني عليها وطبعا كان فيه شباب كتير أبناء باشاوات كانوا يحضروا للعزبة مع آبائهم ويحاولوا يقربوا من الست الـــصغيرة وهيا مكنتشي بتهتم بيهم والحقيقة أنا اندهشت لمـــا لاقيتـــها معجبة بيك وده اللي خلاني أعرف الباشا بحكم المسئولية.

*****

غادر مصطفي مكتب ناظر الزراعة بعد أن علم منه أخبـــارا كثيرة والتي تفيده بأن شيرين تقتدي بأمها "نازك" هائم دون أن تدرى بحكم الوراثة المتأصلة بجذورها نظراً لأن العائلات العريقة لها من الصفات والعادات الراقية والتي تدور جميعها حول خُلق الإنسان وتصرفاته وحُسن تعامله مع من هم أقل منـــه ثقافـــة ووعي أو من العاملين لديه. هذا هو نبراس حيـــاتهم والـــذي انعكس علي شيرين مما دفعها للتعلق به..

أصبح العاملون بالعزبة يشاهدون أسعد شابين يمتطيان الخيل وهما "شيرين وزوجها مصطفي". كان العاملون أو أي شخص يشاهدهما يشعر بالسعادة والمتعة التي يحيا فيها الزوجـــان فمـــا أجمل الشباب وما أحلي الحب وإذا اجتمع الإثنان مـــع المـــال والجاه لأصبح شيئا عالي القيمة.. أصبحت حياتهما سجالاً بين النهار والليل. فالنهار مخصص للعمل والمرور علي أرجاء العزبة المترامية الأطراف كبيرة المساحة يلقـــون بالإرشـــادات علـــي العاملين والتي كانت مغلفة بالبسمة والحب مما انعكس علـــي العمل والإنتاج. أما الليل فكان لمناجاة الحبيب لحبيبته والتمتـــع

بحياة الشباب دون لقاء أحد من الأصدقاء حيث كانا يخشيان أن يضيعا وقتهما في لقاءات وصداقات.

*****

بعد مضي عام علي زواجهما رزقهما الله بطفل جميل الطلعة وقد أطلق عليه الباشا اسم "عمرو". وأصبح الباشا له حبيبين بالعزبة. ابنته فلذة كبده وحفيده عمرو الذي يظل يلاعبه حتي يخلد الطفل لنومه هادئ البال لما حصل عليه من حب عميق سواء من والديه أو من جده.

لم يكن علاء ابن الباشا مرحبا بزواج مصطفي من شقيقته شيرين وقد أعلن لوالده رفضه منذ أول وهلة ثم أظهره بوضوح بسوء المعاملة مع كلٍ من شقيقته وزوجها مما دفع بالعلاقة بينهم إلي الفتور والتباعد.. مضي عام علي مولد عمرو وجلس الباشا في حديقة القصر المشيد بداخل العزبة وطلب من شيرين بأن تترك له عمرو لفترة طويلة نظراً لمغادرته الفيوم عصر هذا اليوم لحضور جلسة هامة لمجلس النواب للنظر فيما قام به اليهود من اعتداء علي عرب فلسطين تحت حماية الإنجليز. ثم أعقبها بضحكة رقيقة بأنه يتمني أن يظل بجوار عمرو حتي آخر لحظة في حياته حتي يغادر الدنيا وهو يشاهد ويسمع حفيده. طل الحزن من عيون ابنته شيرين وهي تطلب من الله أن يطيل عمر والدها الحبيب والذي هو حاميها والمدافع عنها ضد حالات الضيق والفزع التي تهاجم شقيقها علاء.

تركت شيرين وحيدها نائماً علي ساق جده الـــذي كـــان جالساً علي كرسي "هزاز" ينظر إلي حفيدة بمنتـــهي الـــسعادة والسرور والخضرة تحيط به من كل مكان. كانـــت شـــيرين تحادث صديقة أقبلت لزيارتها بعد عودتها من بلجيكـــا برفقـــة والدها سفير مصر بتلك الدولة. كانت تنظر بـــسعادة لعلاقـــة الجد بالحفيد كما أنه ساورها شعور بالخوف من أن ينام والدها ويسقط عمرو علي حشائش الحديقة ولكنها تراجعت راغبـــة في ألا تحرم والدها من حفيده مثل ما حرمه القدر مـــن أمهـــا وهي شابة يافعة وقد اقترب عمر والدها من الستين. حادثـــت صديقتها بأنها تخشي علي والدها حيث أصيب ببعض الآلام في صدره منذ شهر ويشكو من حين لآخر بأثر "غزة" بالـــصدر وقد عرض نفسه علي الطبيب والذي أخبره بأن قلبه يـــشكو ضعفاً بإحدي عضلاته.. انهمكت الـــصديقتان في حوارهمـــا وحديثهما العذب ولكن شيرين شعرت "بغزة" في القلب مثـــل والدها وبشيء حزين أثر علي حُسن اســـتماعها لـــصديقتها فاعتذرت لها بأنها ستتركها بضع دقائق لتشاهد وليدها ووالدها حيث سكن الإثنان و لم تعد تسمع صوت والـــدها الـــضاحك المرح وهو يلاعب وليدها. رافقتها الصديقة وأسفل الشمـــسية التي تظلل الجد والحفيد شاهدتا الحفيد باسماً ضـــاحكاً وهـــو ممسكاً بإصبع جده يمتصه بينما الجد ساكناً هادئاً وقـــد راح في نوم عميق.. بهدوء ذكرت اسمُ الله علي وليدها وحملته برفـــق عن ساق جده ولكن الرضيع بمجرد أن ترك إصبع الجـــد حـــتي

لازمه البكاء وشيرين تحاول تهدئته دون جدوى فأقبلت الـــدادة لتحمل الطفل عن سيدتها ولكن الشيء الـــذي لفـــت انتبـــاه الصديقتين بأن الباشا مازال مستغرقا في نومه وترددتـــا هـــل يتركانه هكذا أم تقومان علي إيقاظه ولكن القرار جاء من ناظر العزبة بيومي افندى الذي أقبل طالبا من الباشا بعض البيانـــات الخاصة بالزراعة ولكن الباشا لم يجبه وهنـــا تـــوترت شـــيرين ونادت علي والدها فلم يجبها هزته برقة دون مجيب. أقبل ناظر العزبة ينادى الباشا دون مجيب فقام برفع جفن عينه ثم نظر إليها قائلاً: إن لله وإن إليه راجعون.

سقطت شيرين أرضا في حالة من الإغماء كمـــا صـــاحب صديقتها البكاء وهي تحتضن صديقتها وانقلب حـــال العزبـــة وأقبل مصطفي عليهم حين علم الخبر.

انتقل رجل الشهامة والمروءة إلى العالم الآخر وأقبل الأعيان ورجال الدولة لتقديم واجب العزاء في المغفور لـــه الـــنحلاوى باشا والجميع يعدد ويردد مآثر خُلقه مع الناس حتى في أصعب الظروف. انتهت ليلة العزاء بكل أحزانهـــا وغـــادر الأحبـــة والأصدقاء العزبة بينما ساد الصمت الرهيب والـــذي يـــنبيء بشيء ما مقبلٌ في الأفق. لكن لا يعلم أحد عنه شيئا سوى الله.

سُحب الشتاء القاتمة

مضت الأيام حزينة مؤلمة غير راغبة في الفكاك من بعضها البعض كشخص يسير في صحراء قاحلة ناعمة الرمال في يوم عاصف من أيام الخماسين القاسية. كان هذا حال من يقيمون بالعزبة ولكن الأثر النفسي كان أشد قسوة علي شيرين وهي تعلم مقدار فقد الأب الحبيب وكانت تسرح بأفكارها وخواطرها في ذكري الأب الفقيد وتفكر في ما سوف تُقبل به الأيام القادمة. فهي تعلم مقدار شطحات شقيقها علاء وسوء تعامله مع الناس خاصة زوجها الذي كان يضمر له كل ضيق واحتقار وعدم مبالاة. بل أنه بعد فقد الباشا قلص كل اختصاصاته حتي أصبح قابعاً مع زوجته وابنه يأكل الحسرة والألم ويشرب حنظل التشفي من شقيق زوجته الذي كان كارها له منذ أول مرة تقابلا فيها ثم ازداد هذا الشعور لديه بعد زواجه من شقيقته شيرين والذي كان رافضاً له بكل عنف.

في أحد الأيام أتي ناظر العزبة لزيارة الزوج مصطفي وأبلغه بقرار علاء بك بأن ينتقل هو وأسرته إلي مترله والذي كان استراحة له قبل زواجه من شيرين وترك الفيلا الكائنة بالمزرعة بعد وفاة الباشا.

رضخت الشقيقة لأمر شقيقها وقام العاملون بنقل الأمتعة الخاصة بهما إلي سكناه القديم المتواضع في إمكانياته بالمقارنة

بالفيلا الرائعة. تبعها مصطفي صاغرا وبعد أن هدأت أحوالهما واستقرا أسر مصطفي في أذن زوجته:

- شيرين. معدش لنا عيش هنا. نظرت إليه بدهشة محدثة:

- ليه بتقول كده؟

- علاء مش حيسبنا في حالنا

طفرت الدموع من عينيها الجميلتين واقتربت منه محتضنة إياه فشعر قلبها ببعد قلبه عنها والذي كان مشتت الفكر والعقل بل كاد قلبه أن يتوقف عن النبض. نظرت إليه خائفة وحركت رأسه حتي تتلاقي عيونهما متسائلة عما يشعر به؟

لم يجبها ولكن الإجابة جاءت سريعة بطرقات علي باب الاستراحة. نهض وفتح الباب فشاهد علاء واقفاًأمامه والشرر يتطاير من عينيه ، حدث شقيقته بلهجة جافة أبعد ما تكون عن العلاقة بين أشقاء آمرا إياها بأن تتخير بين أمرين لا ثالث لهما حيث قال:

شيرين عليك الاختيار بأن تظلي تعيشين مع هذا "الهمجي" أو تنفصلي عنه. فإذا رغبتِ بالبقاء معه فعليكما مغادرة المكان فوراً ولا تعودي إلي العزبة مرة ثانية. أمامك يومان.

حاول مصطفي التحدث ولكنه أشار إليه بألا يفتح فاه معلقاً :

- حتى أنت يا ابن الفلاحين تحاول مناقشتي. ليس أمامك إلا مغادرة تلك العزبة وإلا سينالك الأذى وستندم لأنك صاهرت بنات العائلات.

غضب مصطفي ولم يصمت وحادثه بنفس طريقته.

- لا يغرنك مالك أو مركزك فنحن سواسية أمام الله ولا تزيد أو تتطاول مع الشرفاء. رفع علاء يده محاولاًصفع الزوج ولكن مصطفي أمسكها ومنعه قائلا:

لولا إنك شقيق شيرين وابن الراحل العزيز لرددت عليك إهانتك.

صرخت شيرين في شقيقها طالبة منه مغادرة المكان وألا ينسي نفسه ويعلم بأن لها نصيب في هذا المكان. لم يجبها علاء بل صرخ مناديا رجاله حيث أقبل بعض أعوانه من خارج العزبة والتي أتي بهم لإذلال العاملين والفلاحين. أشار إليهم قائلاً :

- خدوا الكلب ده بره العزبة وعلموه إزاي يتعامل مع أسياده.

لم يكمل الرجل حديثه وشاهدت شيرين قبل حالة الإغماء التي انتابتها أتباع شقيقها يلكمون زوجها ويوسعونه ضربا وركلاً بين محاولاته التي أبداها للدفاع عن نفسه ورد ضرباتهم ولكنهم كانوا أكثر منه قوة لزيادة عددهم الذي تجاوز الخمسة رجال. سقط الرجل مضرجاً بدمائه وأقبل ناظر العزبة الذي

استنكر فعلته مما دفع بعلاء إلي توجيه السباب له وأمر بطـــرده هو وأسرته خارج العزبة.

سقطت شيرين أرضا وهي تدعو الله أن ينتقم من شـــقيقها الظالم الذي لم يحافظ علي ذكري الأب الفقيد وعلي علاقـــة المصاهرة. راحت في إغماءة حاولت الدادة أن تفيقها فـــسبها الشقيق طالبا منها تركها حتي تنتهي حياتها ليتخلص من ذلـــك العار الذي أصاب العائلة من هذا النسب المتدني.

*****

حمل أعوان علاء الزوج المضرج بدمائه وأيقنوا أنه هالك لا محالة وما الموقف الآن؟ تشاوروا فيما بينهم والبعض أقر فعلـــة علاء الذي يغدق عليهم بالمال بينما تخوف الـــبعض أن يلفـــظ مصطفي أنفاسه ويُلقي القبض عليهم ولن تتركهم زوجته فهي شقيقة علاء ولها نصيب في العزبة مما دفع باثنان منهم للمغادرة وترك العمل الإجرامي الذي يقومون به. حمله كلٌ من "شندي وعتمان وعودة" إلي السيارة وغادروا العزبة مقررين الـــتخلص منه كما أفاد أحدهم وهو قريب الصلة من علاء بـــأن البيـــه نسيب حكمدار القاهرة والذي سيقوم بحمايـــة زوج أبنتـــه.. اقترب المجرمون من مدينة الجيزة وعرض عليهم أحـــدهم بـــأن يلقوا به في النيل ليصبح في عداد الغرقي التي تتحـــدث عنـــهم الصحف نظرا لارتفاع منسوب مياه النيل مع شدة التيار بسبب الفيضان الجارف للنهر ونحن في ظلمة الليل ولن يرانـــا أحـــد. ابتسم أحدهم قائلاً :

سوف يرانا الله! ضحكوا من كلمته طالبين منه أن يتجه لمسجد الحسين يقرأ القرآن بدلا من مصاحبتهما.

اقتربوا من منطقة ما اعتقاداً منهم بأنها عميقة وبسرعة ألقوا بجثة الرجل في مياه النيل وسمعوا صوت ارتطامه بالماء. رغبوا في الجلوس فترة حتي تجرفه المياه إلي العمق ولكنهم سمعوا أصوات بعض الصيادين تسأل من هناك؟ أسرعوا بالفرار بينما أقبل الصيادون لتحري الأمر فشاهدوا الرجل ملقي بالمياه الداكنة وقد منعت الحشائش علي جانب الشط تيار المياه من أن يجرفه كما أن المنطقة كانت ضحلة ويمكن السير عليها علي الأقدام وقد غطت مياه الفيضان الأرض والتي لم تكن عميقة.

أسرع الرجال بإخراج الرجل من المياه وعملوا علي إفاقته وكان في غيبوبة كاملة نظرا لما ناله من الضرب والأذى علي يد زبانية علاء. تشاوروا فيما بينهم وما هم فاعلون؟ هل يبلغون الشرطة أو يحملونه إلي دورهم لعلاجه والعمل علي إسعافه. قرروا حمله لأقرب بيت من بيوت الصيادين.. فوجيء من بالدار بعودة الرجال دون انتهاء أعمالهم وهم يحملون جثة رجل مضرجا بدمائه ، فزعت النساء بالدار وأضيئت اللمبات الجاز وأقبلوا علي المصاب وأبدل الرجال ملابسه بملابس جافة وقامت فتاة شابة بإسعافه من الجروح التي أثخنت جسده بوضع ضمادات عليها هي عبارة عن قطع قماش جافة ووضعت عليها بعض المراهم التي يعالجون بها أبناءهم.

طلب الرجال من النساء مراعاة الرجل حتي الانتهاء من أعمالهم وبعد عودهم في الصباح سيتوجهون به إلي الشرطة لإبلاغها بما حدث له للقبض علي الجناة. بعد عدة ساعات استفاق مصطفي فشاهد جمعاً من السيدات حوله وهن يلتفحن بملابس سوداء. اعتراه إحساس بالخوف بأنه في مأتم واحتمال أن علاء قد أصاب زوجته وطفله بسوء فهو يعلم هذا من بلدته بأن تجمع النسوة بتلك الملابس لهو دليل علي الحزن.

غادرت السيدات الحجرة بعد أن طمأنت قلوبهن بأن المصاب عاد إلي رشده بينما ظلت جالسة فتاة شابة بملابسها الملونة والتي أعادت إلي نفسه الهدوء بعد خوف واضطراب. أقبلت عليه باسمة المحيا تسأله:

- تشرب شاي وإلا أجيبلك أكل؟ بصوت واهن ضعيف أجابها

- يا ريت شوية شاي. ابتسم ثغرها الجميل ناهضة وهي تكمل حديثها:

- من عينيا. لو طلبت عيوني أجبهم لك علي طبج.

أسعده حديثها مما دفعه لمحاولة النهوض والجلوس بينما عادت الفتاة حاملة علي يديها "شالية" ووضعت عليها بعض "القوالح" الجافة وأشعلتها باستخدام عود كبريت مع بعض أوراق صحف جافة أحضرتها لهذا الغرض ومن حين لآخر تقوم بالنفخ نفخات قصيرة هادئة والنار تستجيب لها.

اشتعلت "الشالية" وأضاءت المكان أكثر فأكثر وأضفت البهجة علي قلبه والدفء إلي صدره فساعدت علي أن تغادر جسده برودة البلل المنهك.

وضعت فوق النار إناء الشاي أسمر اللون من كثرة استخدامه فوق النيران المباشرة "للشالية" ووضعت الماء بداخله من قلة مجاورة لها وأعقبتها بأن وضعت السكر بيدها وأفرغته بعدها بالبراد ثم تلتها بالشاي الجاف. جلست تنظر إليه ومازالت البسمة الوضاءة التي حباها بها الله لم تفارقها. وسألته بطيبة قلب.

- اسمك إيه؟ بكلمات مختصرة

- مصطفي

- عاشت الأسامي يا سي مصطفي. منور الدار وأخواتي دايما يصطادوا من البحر السمك المشط والجراميط لكن أول مرة يصطادوا ملاك. ابتسمت وغطت فمها بالطرحة الخفيفة ذات اللون الأخضر الفاتح. علق علي ثنائها وقد أشرقت الابتسامة علي وجهه

- ربنا يخليك. أنتم باين عليكم ناس ولاد حلال

- والنبي إنت اللي ابن حلال. باين عليك راجل محترم وابن مدارس. حديتك بيحول كده

– كلامك صحيح. أنا مهندس زراعي. ضربت بيدها علي صدرها

– مهندز!! ياه دا أنت راجل عليوي خالص. طيب إيه اللي رماك في النيل؟ أوعي تجول أن مرتك هيا اللي عملت فيك كده لأنك صغير ولسه مدخلتش دنيا.

– أنتِ إسمك إيه؟

– خدامتك روايح.

– الله. إسمك حلو خالص كمان أنتِ حلوة وجميلة.

تضحك بسعادة وخجل وتضع حرف الطرحة علي فمها.

– كلامك حلو وشكلك حلو. تعرف إني مش مجوزة. يا دوب كملت تمنتاشر سنة والواد عوف اللي شغال مع أخواتي طلبني للجواز بس أنا مليش غرض فيه.

– ليه .. فقير؟

– فجير إيه؟ ما إحنا كلتنا فجرا. لكنه معفن ودايما الطين بين صوابع رجليه من المشي حافي علي الجسر ومش بيغسل رجله إلا لما يتوضي. أصل أنا بحب الناس النضيفه الحلوة. يا سلام لما بأشوف التصاوير وأشوف الراجل الحليوة جوز الست ليلي مراد. تعرفه؟ سي أنور وجدي وأجول في نفسي ربنا يبعتلك يا روايح راجل حلو زيه. وإلا كده عيب؟

– عيب ليه؟ ده حقك.

- تعرف ياسي مصطفي. أنت فيك شبه كبير من سي أنور وجدي. عارف كدة؟ ابتسم لها ولحديثها البريء حتي اشتم رائحة الشاي فرفعت البراد وصبت له كوباً وشاهد تصاعد الأبخرة وقرب الكوب من فمه وحصل علي أول رشفة فنظر إليها بسعادة بالغة قائلاً:

- ده مش شاي. صمتت وأصابها الضيق ولكنه أكمل: ده شربات!!

أسعدها مديحه وازدادت بهجتها ورقتها وأقبلت أمها فشاهدت مصطفي جالساً يحتسي الشاي فظهرت الفرحة علي وجهها قائلة:

- حمد الله بالسلامة يا ابني. أنا عارفه البت روايح ما بطلتشي حديت وياك. كفاك كده يا روايح خلي الجدع يستريح. قاطعها مصطفي قائلاً:

- لو مش مضايقين سيبيها تفضل تكلمني علشان أفك من الأزمة اللي صابتني النهاردة. غادرت الحجرة وهي تتحدث:

- بخاطرك يا دي الجدع

ظلت روايح تُحدث مصطفي ومازال ينظر إليها يُشاهدها وقد شعر بالبهجة والانشراح محاولا نسيان ما قد آلمه في هذا اليوم الدامي. كانت تهاجمه من حين لآخر ذكري زوجته الحبيبة وصغيره "عمرو" الذي أتم عامه الأول وتعاوده مشاهداته وهو يحرك يديه الصغيرتين في الهواء لعله يمسك بأي

شيء يلعب به أو يضعه في فمه مباشرة. شعر بأن النوم هاجمه فوضع كوب الشاي بعد أن فرغ من تناوله وعاد برأسه للخلف فصمتت روايح عن حديثها ذو الروائح الجميلة وأراحت رأسه علي المخدة وخفضت ضوء اللمبة وحملت الشالية وغادرت الحجرة وأغلقت الباب خلفها.

أحـــزان شــيرين

أرسل علاء في طلب الطبيب الخاص بالعائلة لرعاية شقيقته "شيرين". حضر الطبيب وبعد أن قام بفحصها تبين لـــه بـــأن السيدة تعرضت لضغط عصبي شديد أدي إلي حالة من الغيبوبة أو الإغماء المؤقت التي أصابتها. طلب من شقيقها إيضاحاً لهذا، ناوره في الإجابة محاولا الهرب.

كان لهذا الطبيب من الحب والتقدير الكثير لـــدي العائلـــة فهو طبيبهم منذ عقود طويلة كما أنه صديق للنحلاوي باشـــا والد علاء وحينما نظر إليه الطبيب نظرة جادة أفصح له عـــلاء بما تم مع زوجها وقد استنكر الرجل تصرفه مما أغضب عـــلاء الذي وجه له حديثه بأنه استدعاه للعلاج وليس لإبداء النصح والإرشاد.

غضب الطبيب منه ومن حديثه وذكره بأن تـــصرفه هـــذا سوف يعود عليه بالضرر وما الزواج أو المـــصاهرة بالـــشكل والمظهر والمنصب ولكن بالخلق ورجولة الرجال وقد وافق أباك أن يزوجه ابنته الوحيدة.. أراد علاء الحديث ولكن الطبيـــب أشار إليه بالصمت فأمتثل. كتب الطبيـــب مهـــدئاً للـــسيدة وأعطاها أمبول مهدئ بالعضل لكي تعود لحالتها وأعطي الدادة تعليماته بما يجب عليها أن تقوم به حتى تستطيع أن تعود شيرين لحالتها محذرا علاء بأنه إذا عمل علي توترها فـــسوف تـــزداد

الحالة سوءا عن هذا الوضع ولهذا فهو يحمله كـل مـسئولية ،غادر المكان بعد أن رمق علاء بنظرة حادة قائلاً :

- حاول علاج ما أفسده تفكيرك العقيم.

أصاب الفتي الذهول من قول الطبيب والذي غادر المكـان قبل أن ينتبه علاء لتلك الكلمة الصاعقة أمام الدادة والخادمة.

اليوم التالي تنبهت "شيرين" ونظرت حولها مستفسرة مـن الدادة عما أصاب زوجها ووالد أبنها وكانت الدادة حليمـة الخلق هادئة الطباع مع كبر سنها وخبرتها الكثيرة فيما يحـدث بداخل العائلات من مشاكل.

أجابتها بابتسامة مصطنعة:

سيدتي كل شيء سيعود لأصله وما عليك سوي الاهتمـام بنفسك وبعمرو بيه فهو في احتياج إلي رعايتك ومازال رضيعا يحتاج كل حنان وقطرة لبن منك حتي يشب رجلاً قويا ، أما بخصوص مصطفي بيه فهو الآن في أمان وقد أصطحبه معـاونو علاء بيه إلي خارج المزرعة حتي لا تزيد بينهما المشاكل وهـم رجال يعلمون بأنها زوبعة سوف تنتهي بعد أيام يعود بعـدها لعائلته.

نظرت إليها شيرين محاولة تصديق حديثها ولكن قلبها ينبئها بأنه حديث رقيق للتهدئة ليس إلا. كما طلبت من الدادة بـألا تسمح لشقيقها علاء بزيارتها وأنها غير راغبة في مشاهدته بعـد ما حدث مع زوجها ووالد ابنها.

انتشر الخبر في العزبة بين جموع الفلاحين بأن علاء بك اعتدي ضربا وسباً علي زوج شقيقته وقد دُهش الناس من هذا وأوكلوا تصرفه هذا لرغبته في الاستئثار بميراث والده. تضاربت الآراء ولكن الحكم النهائي عليه بأنه رجلٌ ظالم قاس كما أن مصطفي بك رجلٌ فاضل متواضع رقيق ، أما النساء فقد أبكاهن ما حدث لحبيبتهن شيرين ابنة الراحلة "نازك" هانم التي برحمتها وقلبها الطيب عطفت علي كل نساء العزبة وتناقله القوم جيلاً بعد جيل.

شعرت شيرين بأن المستقبل مُظلم أمامها بدون الحبيب والأنيس والزوج الذي لاقي أسوأ معاملة وكل هذا كان بسببها فلو لم يتزوجها لما قُوبل بمثل هذا الفعل من شقيقها الأهوج علاء. بعد قليل أخبرتها الدادة بقدوم "صافيناز هانم" زوجة شقيقها علاء.

أقبلت "صافيناز" علي شيرين وقد سبقتها دموعها حُزنا علي تصرف زوجها. انحنت وقبلت شيرين بينما أجهشت شيرين في البكاء وصافيناز تحتضنها مربته علي صدرها بألا تقنط من رحمة الله وما هي إلا سحابة صيف لن تدوم وستعود المياه إلي مجاريها..

حبيبتي شيرين: منذ علمت بالخبر أمس وأنا مقاطعة زوجي حديثا وطعاما وعلاقة زوجية. إنه رجل قاس أن يتصرف بتلك الحماقة المذهلة ولا يقدر للأمور عاقبتها.

فجأة شاهدا علاء يقف أمامهن علي باب الحجرة وينظر إلي زوجته نظرة نارية ، بادلت نظراته بمثلها وأخبرتـــه بكلمـــات مختصرة:

علاء إني راغبة في الانفصال وسوف أغادر العزبة مع أطفالة وعليك أن ترسل لي بورقة الطلاق ولا أريد أن أراك بعد هـــذا اليوم. بئس ما فعلت وبئس خلق من تزوجت.

صرخ بها. أشارت إليه بأصبع السبابة محـــذرة. لا تنـــسي نفسك وتصبيك النشوة من أفعالك فكما افتريت علي مصطفي ذو الخلق المهذب حبيب شيرين فتذكر قدرة الله عليك وتذكر بأن أبي سوف يضعك بالسجن لا تغادره أبدا. ارتـــد عـــلاء للخلف وهمدت غضبته وانقلبت ســـحنته بابتـــسامة مفتعلـــة متحدثاً مادحاً في والدها وبها شخصيا. سألته لماذا لم تقل هذا لزوج شقيقتك؟ أمن أجل أنه موظف صغير رقيق الحـــال مـــن أبناء هذا الشعب الطيب. ألم تتعلم من أونكل عبدالغفار خُلقه وسلوكه حتي مع أصغر عامل لديه في العزبة؟ ألم تـــتعلم مـــن نازك هانم والدتك رقة شعورها وكنت أشاهدها وهـــي تـــأتي لزيارة أمي وتتحدث بكل حديث طيب المعـــني والأثـــر. دوام الحال من المحال.. نهضت وقبلت شيرين مغادرة المكان وأعادت إشارتها لزوجها.

- بكره توصلني ورقة الطلاق وكل حي يـــروح لحالـــه. خليك أجري ورا الفلوس وشوف نهايتك حتكون إزاي.

حاول الحديث ولكنها لم تترك له الفرصة مسرعة بالعدو مغادرة الاستراحة المتواضعة. وقف قليلا ثم نظر إلي شقيقته مؤنبا بأن كل ما حدث وسوف يحدث بسببك أنت. عليك اللعنة وعلي الغبي الذي ارتبطت به كل لعنات الدنيا.

غادر الحجرة محاولا تتبع زوجته ولكن الخادمة أقبلت تزف خبراً بأن "صافيناز هانم" استقلت سيارها يقودها سائقها وبصحبتها طفليها مغادرة العزبة إلي مترل والدها اللواء حمدي.

نظرت شيرين أرضا وانتاها الحزن والفرحة. الحزن لما أصابها والفرح بأن الله أراد أن يذيق شقيقها من نفس الكأس وفي اليوم التالي مباشرة وإن ربك لبالمرصاد. وكما قالتها صافيناز "داين تدان ودوام الحال من المحال.

أقبلت الدادة حاملة "الرضيع عمرو" وبمجرد أن شاهدته شيرين حتى أنعشتها الراحة والسرور وانفرجت شفتاها بابتسامة عريضة أضاءت أركان الحجرة وانعكس هذا علي كل من الدادة والخادمة. ألقي الصغير بجسده الهزيل علي صدر أمه باحثا عن طعامه بينما انهمكت شيرين في تقبيله ومداعبته وهو لاه عن كل هذا بطلب طعامه الإلهي. أخرجت ثديها فأمسك به وبفمه ولم يتركه حتى غلفه العرق وخمدت حركته سكونا من السعادة التي حصل عليها سواء من طعامه أو من حنان أمه.

منتصف الليل دق جرس التليفون في الفيلا ورفع علاء السماعة معتقداً بأن صهره اللواء حمدي علي الجانب الآخر

ولكن المتحدث هو اليوزباشي حسين مدير مكتبه طالبـا منـه بصورة شبه آمره بالمثول في مكتب سعادة الباشا اللواء حمـدي قبل الثانية عشر غدا للأهمية . مكرراً الأمر وزيلـه بكلمـات قصيرة مع عدم التأخير لمصلحتك الشخصية.

سقط علاء علي الكرسي المجاور له من شدة الإهانة الـتي لحقت به محدثا نفسه بأن هذا الضابط يحدثه بتلـك الطريقـة الجافة كأنه يعمل تحت إمرته. ألا يعلم هذا الغبي بأني بك ابـن باشا. ألا يتذكر هذا الضابط حينما كنـت أتوجـه لمكتـب الحكمدار كان ينهض مُسرعاً مُرحبا ليفتح لي باب السيارة ثم يتبعني ويقوم بفتح باب المكتب ويقف ذليلاً ينتظر مني ما أطلبه من شراب؟ ألم ينس هذا الرجل بأنه كان يجد في أثري مودعـا حتي باب السيارة ويقوم نيابة عن السائق بفتح بابها مودعـا مؤدياً التحية العسكرية حتي أغادر مبني الحكمدار.. جلس قليلا ولم يستوعب ما سمعه من مدير مكتـب الحكمـدار محـاولا الوصول إلي السبب الذي جعل هذا الـضابط يحادثـه بتلـك الطريقة البعيدة عن كل احترام وذوق. تنبه بأن زوجتـه قـد وصلت إلي مترل والدها وأبلغته برغبتها في الطلاق ومن المؤكد أنها ذكرت له ما حدث بيني وبين هذا الملفوت زوج شـيرين. اللعنة عليك يا شيرين فلقد أتيتي برجل وضيع حمل لنـا كـل المشاكل التي لن تنتهي وبدأت أولي فصولها هذا المساء.

قرر علاء بأنه لن يتوجه لمكتب الحكمدار في الصباح ويفعل الحكمدار ما يفعله فهو نائب في البرلمان عن الدائرة التي خلـت

بوفاة والده ولن يستطيع الحكمدار أن يلمس منه شعرة واحدة بل يستطيع أن يدفع بوزير الداخلية لأن يحيل هذا الحكمدار إلي المعاش ليجلس بجوار ابنته الرعناء التي تعشق الحثالة من أبناء الشعب المصري مثل شيرين شقيقتي. إن كل النساء سواء في قلة العقل وعدم المسئولية.

لم يستطع علاء في تلك الليلة أن ينام فقد أرسل الله له بمن ينكد عليه حياته مثل ما فعل مساء أمس مع شقيقته وزوجها. سمع آذان الفجر فنهض محاولا التقرب إلي الله بصلاة مزيفة وغير خالصة لكن الله يعلم ما في القلوب لأنه لم يفعلها من قبل ولو كان يقوم بها لم يكن قد اندفع إلي ما قام به مع زوج شقيقته.

تساءل علاء: أين مصطفي الآن ولم يعد معاونوه حتي الآن لكي يخبروه بما تم مع هذا الجلف المتخلف الذي شعر بأنه أصبح ذا قيمة بعد تخرجه من مدرسة الزراعة العليا راغباً بأن يناطح أبناء الباشاوات مستواهم واستطاع إقناع أبي بزواجه من شيرين بعد أن أسمعه بعض الكلمات المعسولة فخضع لرغبته ورغبة شيرين المندفعة إلي إتمام زواجهما رغم اعتراضي الشديد وعدم حضوري حفل زواجهما.. ظهر ضياء الشمس واضحا في الأفق ولم يدرِ علاء سوي أنه ارتدي ملابسه طالبا حضور السائق بالعربة الأخرى وأمره بالتوجه به إلي القاهرة. بعد ساعة ونصف أو يزيد أثناء الطريق حاول العثور علي قرار بخصوص زوجته ووالدها ، لم يتوصل إلي أى قرار نهائي بما سوف يقوله

لوالد زوجته ، قرر بأنه سوف يوجه له رسالة شديدة اللهجـــة تدفعه لأن يعيد ابنته إلي العزبة رغم أنفها وإلا فعليه أن يتحمل تصرفاهًا النابعة من شدة تدليله لها حتي عصت زوجها طالبـــة الانفصال بدون أن يصدر منه أي شيء يسيء إليهـــا. فهـــو يتعامل مع شقيقته وزوجها وليس لها دخل أو شأن في هذا.

أمام مديرية الأمن أوقف الحرس سيارة علاء و لم يسمحوا له بالدخول إلي داخل المبني بالسيارة كالمعتاد. بل طلب منه رئيس الحرس الخارجي بالانتظار في الاستراحة المخصصة للعامة حـــتي ينتهي سعادة الباشا من أعماله.

حاول الاعتراض وبأنه عضو بمجلس النواب فابتـــسم لـــه رئيس الحرس موضحاً بأن كل ما يقوله يعلمه ولكن هذه هـــي الأوامر وعليك أن تعلم بأن عدم تنفيذها سوف يعرضنا جميعا للعقاب. وإذا كنت في ضيق من الانتظار فيمكنـــك التوجـــه لقهوة عزوز بالحارة الخلفية والجلوس عليها حتي ينتهي الباشـــا من أعماله الأميرية وأرسلٍ لك بجندي للحضور.. جلس عـــلاء بالاستراحة مرغماً متوتراً مصمماً علي أن يأخذ حقه من هـــذا الحكمدار الذي تعدي عليه وعلي كرامته ولتذهب ابنتـــه إلي الجحيم وسوف يتزوج ابنة "نسيم بك الأسيوطي" من أعيـــان أسيوط وزمام أرضه لا يقل عن زمام عزبة النحلاوى وله ابنـــة وحيدة فلم ينجب سواها بسبب إصابته في حادث سقوطه من فوق حصانه فأثر عليه وجعله عقيما.

بعد مضي ساعة ونصف علي موعده مع الباشا جاءه أحـــد الجنود يخبره بالتوجه إلي مكتب مدير مكتب الباشا. سار خلف الجندي وهو يهذي مما حدث له وشعر بأنه سوف يسقط أرضا من فرط توتره بل وشعر بأنه سوف يخنق هذا اليوزباشي الذي أذل كرامته وكبرياءه. تمني لو أنه أحضر مـسدسه لأفرغــه في قلب هذا الضابط الذي دخل عليه وهو يتحدث في التليفـــون فأشار إليه بالجلوس وظل يحادث شخصا علي الجانب الآخـــر في حديث شخصي تافه لا يمت للعمل بصلة.. طلب الـضابط من حارسه أن يحضر له فنجانا من القهوة وأشار إلي علاء بيده وهو مشغول بأوراق أمامه محدثا الجندي وشـوف الأفنــدي يشرب إيه؟ كاد علاء أن يصرخ فيه بل يقفز عليه فوق مكتبه قاطعا رقبته بسكين فتح الأوراق ولكنه تماسك ولم يطلب شيئا. نهض الرجل واتجه إلي باب المكتب محدثا زميلا آخر بـــبعض الأمور التافه التي لا تفيد العمل. تساءل علاء:

- مش فيه معاد مع الباشا؟ بقليل من الاهتمام أجابه:

- أيوه فيه ميعاد ولما الباشا يصرح ح تقابله.

دقت الساعة الثانية بعد الظهر وسمع مدير المكتب الحكمدار يطلبه تليفونيا بأن يدخل علاء النحلاوى لمكتبه. نظر الرجـــل يمينا ويسارا يتفرس في الحجرة وهو يتساءل:

-اللي اسمه علاء النحلاوى يقف علشان الباشا ح يقابلـــه. كاد علاء أن يصيبه الجنون. نهض واقفا فأشار إليه الضابط بمـــا

يعني اتبعني. سار علاء خلفه حتي دخل المكتب الضخم الكبير وهنا أدي الضابط التحية العسكرية بكل اهتمام صائحا .

- تمام يا سعادة الباشا: المواطن علاء النحلاوى في خدمة سيادتك.

شكره القائد طالبا منه الانتظار في مكتبه. ظل علاء واقفا منتظراً الإذن بالجلوس بينما الرجل ينظر إليه وقد التصق حاجبيه الكثيفين وهذا مدلوله لمن يعرفه بأن هذا يوم كئيب ونحس. بادره بالحديث:

- صافيناز هانم طلبت منك إمبارح أنك تبعت لها ورقة الطلاق. حصل؟

- أيوه يا ساعات الباشا بس... "مقاطعا"

- ما فيش بس. كل واحد يروح لحاله وأنا معرفتش أختار لبنتي لكن حبي لعبدالغفار باشا الله يرحمه هو اللي خلاني أوافق على جوازها منك رغم إني أعرف إنك مندفع ومتهور زي التور الهايج.

لم يستطع علاء الحديث فقد سقطت عليه تلك الكلمات الموجعة فجعلته يتوجه للجلوس علي أقرب كرسي ولكن الرجل صرخ به طالبا منه الوقوف قائلاً:

- هو ده مكتب أبوك. روح دلوقتي وجهز الأوراق اللي طلبتها صافيناز هانم.

غادر المكتب وبعد قليل أقبل مدير مكتبه يعلن بأن علاء بك سقط علي الأرض مغشيا عليه. وقف الرجل سعيداً وطلب من مدير مكتبه وقف التمثيلية حيث أتت أكلها طالبا منـــه ومـــن المعاونين تقديم يد المساعدة له والاحترام الواجب فقد وصـــلت الرسالة التي كنت أبغي وصولها.

حضر الأطباء بالمبني وعالجوا الخـــدوش والكـــدمات الـــتي أصابت علاء ، عاد برفقة سائقه يهذي حتي وصل إلي الفيـــوم وهناك بالعزبة أرسل أحد معاونيه لإحضار المـــأذون. أســـرع الرجل بتنفيذ تعليمات سيده بينما ألقي علاء بجـــسده علـــي السرير يتفصد منه العرق الغزير وراح في إغماءة طويلة لم يفلح أحد في إيقاظه منها حتي أنه لم يعلم بأن المأذون قد حضر.

أسرعوا بإحضار الدكتور/وديع حبيب الذي أتى مـــسرعاً متخوفاً بأن تكون "شيرين" قد أصابتها وعكة أخـــري لكنـــه فوجئ بعلاء مستلق علي السرير بملابسه والعرق الغزير يغلفه. حاول إفاقته دون جدوى.

استفسر عما حدث له هذا اليوم ، أفاده سائقه بأنه توجـــه اليوم للقاء حمدي باشا نسيبه وغادر المكتب ووقع علي الـــسلم مغشيا عليه وقد أصابته الهلوسة طوال الطريق.

حقنه الرجل بمهدئ ونهض لمكتـــب إدارة العزبـــة وقـــام بالاتصال باللواء حمدي والذي أجابه مـــن الجهـــة الأخـــرى موضحا له بأنه أراد أن يلقنه درساً نظير ما فعله بزوج شقيقته

هذا الشاب الرقيق والذي لم يجد سنداً يقف معه أمام جبروت علاء فأردت أن أخبره بأن الله لا ينسي عباده ويسلط أقوامـــا تنتقم من أقوام أو تحصل علي حقوقهم المغتصبة.

تفهم الطبيب ما حدث وشكر الرجل الذي طالبه بألا يخبر زوج ابنته بأي شيء حتي يتماثل للشفاء ووعده بهـــذا. عـــاد الطبيب وهو في دهشة من سرعة رد الفعل وسرعة الانتقام من جبروت علاء ضد زوج شقيقته. قام الطبيب بواجبـــه حـــتي استفاق علاء فشاهد الطبيب بجواره فبكي لما حدث له وأخبره بأنه قد أصابته إهانة لن تـــمحي من ذاكرته أبدا. هدأ الطبيب من خاطره وأخبره بأن هناك شخصاً آخر حدثت له اهانة لن تمحو من ذاكرته أبدا.

تضايق علاء مشيرا بيده " قائلاً :

- هو ده من مقامي ولا من مستواي". ضرب الطبيب كفا بكف وغادر المكان مرددا :

- مافيش فايدة فيك يا علاء يا ابن النحلاوى الرحيم.

صبح الصباح محلاه

سمع مصطفي أصوات الديوك مُعلنة صباح يوم جديد وأعقبها لغط من أصوات الجيران في المنطقة التي يجهلها تماما حتي أنه لم يشاهدها لعتمة الليل وشدة إصابته. hشتم رائحة دخان وهذا يوضح له أن البعض قد نهض يعد طعام الأبناء استعداداً ليوم جديد. نظر إلي جسده وهالته الإصابات التي استطاع أن يشاهدها دون مرآة وتخوف بأن تكون الإصابات أكثر من ذلك.. سمع بعض ضربات باليد علي باب الحجرة فاعتدل من فوق الحصيرة التي كان ينام عليها وأسفله وضع لحاف مصنوع من القطن ليريحه في رقدته هذه. أعقب الطرقات فتح الباب فشاهد روائح ببشرتها الجميلة الناعمة وبسمتها الرقيقة الحالمة. أقبلت عليه تسبقها روائحها الطبيعية التي نفحها الله لها تحدثه:

- صباح الخير. يا تري الباش مهندز عفي اليوم وإلا لسه مخربط؟ أضحكه تعبيرها "مخربط"

- أجابها: بخير والخربطة راح منها شوية. لكن إيه اللي مصحيكِ بدري؟

- بنجهز الوكل لاخواتي يتحوتوا علشان طالعين البحر النهاردة والفيضان عامل عمايله.

غادرته وبعد قليل أقبلت تحمل كوباً من اللبن الحليب الساخن المحلي بالسكر. جلست تحادثه بعفوية مطلقة وهو

يستمع إليها وقد راوده شعور بالراحة من تلك البراءة التي يتحلي بها هؤلاء القوم البسطاء.

بعد قليل أقبل عليه ثلاثة رجال بوجوه مكفهرة غابرة وألقوا عليه تحيتهم وعرفوه بأنفسهم.

– أهلا وسهلا بالأستاذ. محسوبك أبو الليل واللي ريحي علي طول خربوش أخويا واللي بعده أبو الشوك أخويا برضه والبت الصغيرة اللي كل شويه تفطللك تبجي روايح اختي. البت روايح بتجول إنك اسمك مصطفي وبتعمل مهندز. صحيح الحديت ده؟

– أيوه .. انا قلتلها الكلام ده أمبارح لما سألتني. والحقيقة أنا بأشكركم علي اللي عملتوه معايا ولو مكنتوش لحقتوني كنت غرقت في النيل خصوصا انا مش بعرف العوم. الحمد لله علي كل حال وأنا عايز أمشي وأشوف لي حته أعيش فيها. تحدث كبيرهم أبو الليل قائلا :

– عيب الحديت ده يا أستاذ. تروح فين وتيجي منين. خليك معانا لحد ما ربنا يفرجها. هو أنت ملكش جرايب؟

- طبعا ليا ، أهلي موجودين بالشرقية وكلهم أخوات كبار لأني الصغير فيهم وأبويا وأمي قابلوا ربنا من كام سنه لكن الحكاية أنا خايف من الراجل المؤذي اللي عمل فيا العملة دية لأنه ممكن يوصي راجل كبير في البوليس ويقبض علي ويدخلني السجن وأنا والله ما عملت حاجه لكن حنقول إيه علي الظلم.

تناول الرجال طعام الإفطار وتبادلوا الأحاديث الطيبة والتي يتخللها الشكر لله علي نعمته عليهم وخلال ذلك خرجت من بعضهم بعض قفشات وتعبيرات مرحة والتي أدخلت البهجة والسرور علي الرجال مما دفع بالشاب المصاب إلي الابتسام وانطلقت منه بعض الضحكات فأسعدت قلبه الجريح وقللت من ألام جسده المصاب.. بعد مضي يومين علي هذا الحادث شعر مصطفي أنه لا يستطيع السير بسهولة وكان يزك وشعر بآلام قوية في مفصل قدمه اليسري. رفع الغطاء عنها فشاهد ورما كبيرا بساقه، حزن القوم لهذا وأسرع أحدهم بإحضار "عودة" الجبراتي الذي يعيش في القرية وقام بفحصه وأخبرهم بأن "كاحله" الأيسر كسر من ضربة شومة عليها وقام الرجل بتجبير كاحله ووضع عليها جبيرة طالبا منه عدم السير عليها لمدة ثلاثة أسابيع.

ظل مصطفي ملازما حجرته ومن حين لآخر يتذكر شيرين زوجته وطفله الرضيع وفي بعض الأحيان يغالبه التأثر فتخرج من عينيه بعض الدموع محاولا ألا يظهرها أمام روايح التي أدخلت البهجة علي قلبه الجريح بحديثها العذب وغنائها الشجي وهي تطربه ببعض أغاني ذلك الزمان من أم كلثوم وشادية وليلي مراد وأسمهان.

مضي علي وجوده مع هؤلاء القوم أكثر من أسبوعين شعر خلالها بتحسن واضح علي صحته وهيئته وتعافت الجروح التي كانت تغطي الوجه وبعض الأجزاء من جسده.

بعد ثلاثة أسابيع جاء المجبراتي ونزع عنه الجبيرة وقد زال الورم واللون الأزرق من التجمعات الدموية التي نتجت من ضرب أحدهم له بعصا كبيرة علي ساقه الأيسر. نهض بصعوبة مثل السابق حينما كان يتجه للحمام لقضاء حاجته وشعر بأن قدمه لا يستطيع السير عليها كما كان بالسابق.

اخبره "عودة" المجبراتي بأن هذا شيء طبيعي لمثل حالته موضحاً له بأنه يشاهد في بعض الأحيان البعض يعرج أثناء سيره وهذا ناتج من مثل تلك الإصابات وانه يحمد الله بأن ساقه سليمة و لم يحدث بها كسر وطالبه بأن يعود نفسه علي السير بهذا العرج الخفيف وسوف يتعود عليه ولا داعي للخوف من تلك الإصابة.. غادره الرجل بينما جلس مصطفي حزيناً كسيراً بعد أن فقد زوجته وابنه وأصيب بتلك العاهة المستديمة وسيظل بها إلي أن يلقي ربه كما أنه يعيش ضيفاً ثقيلاً علي هؤلاء القوم الفقراء. يساءل نفسه من حين لآخر: ماذا فعلت لأجني كل هذا الألم النفسي والبدني؟ لقد تزوجت مثل باقي الناس وكنت أعمل كأي موظف بل بمثل النشاط قبل أن أرتبط بالعزيزة شيرين. هل يبغي شقيقها الاستيلاء علي ميراثها؟ وإذا كان هذا مطمعه فلماذا كل هذا الهوان والذل الذي واجهنا سواء أنا أو هي. ما حالها الآن وقد فقدت الزوج والأمان؟

أقبلت روايح بنفس راضية ترقبه في تأملاته. لم ينتبه إلي وجودها وظل علي حاله وتذكر ابنه عمرو فخرجت الدموع

من مقلتيها غزيرة ساخنة. أقبلت عليه فانتقلت الدموع إليهـــا أيضا فهي تعلم أنه شاب رقيق الإحساس من الأيـــام الـــسابقة والتي اقتربت منه حتي شعرت بأها لا تستطيع الابتعـــاد عنـــه ولكنها لا تعلم عن أحواله شيئا أو ماضيه ومـــن المحتمـــل أن تكون إصابته بسبب عمل إجرامي أقدم عليه ولكنها تراجعت مؤنبة نفسها علي تلك الأفكار السوداء متذكرة بأن القلـــب لا يفكر بمثل تلك الأفكار فهو يقترب أو يبتعد عن إنـــسان مـــا بشعوره وإحساسه الداخلي الذي لا يمكن لأي إنسان التحكم فيه فهو مثل التنفس الذي يتم دون تحكم وننام ونصحو وهـــو يعمل.

******

في عزبة النحلاوي بالفيوم مازالت حالة الحزن والألم تعتصر قلب "شيرين" متسائلة من حين لآخر:

– يا تري أنت فين يا مصطفي؟ يا تري عايش وإلا قابلـــت ربك؟ ثم تندفع في البكاء فتهرع إليها الدادة لتخرجها من هذا الألم النفسي الحاد وما هي إلا دقائق حتي تسمع صوت وليدها يبكي فيخفق قلبها ويتشتت عقلها عن أي شيء آخر ســـوي هذا المخلوق الصغير فتندفع إليه بكل عواطفها محتضنة إياه ملبية كل رغباته حتي ينام هاديء البال علي صدرها فتحصل علـــي المنحة اللاهية بعدد من القبلات الصغيرة حتي لا تزعجه أثنـــاء نومه..ظلت شيرين في حالة من الحزن والألم النفسي رغـــم أن الطبيب مازال يعودها من حين لآخر والرجل كان متنبـــها إلي

حالتها حيث أخبرها بأن الحزن شيء طبيعي في الإنسان السوي ولكن ثقي ياابنتي بأن الله سوف يفرج كربك.

تسأله: كل ما أبغيه الآن هو معرفة مصير زوجي. هل هـو علي قيد الحياة أم قابل ربه بعد أن اعتدي عليه أعوان عـلاء؟ يطيب من خاطرها بأن كل هذا متروك للزمن ولـو حـدث مكروه لمصطفي زوجك لكانت قوات الأمن علمت بهذا وطالما لم تحدث أمور غير عادية فهذا يعني بأنه بخير والحمد لله.

تحت إصرار "صافيناز" ابنة اللواء حمدي حكمدار العاصمة تم الانفصال عن "علاء النحلاوي" وغادرت العزبة واستقر بها المقام في فيلا النحلاوي بالمعادي كما صمم والـدها علـي أن يتعهد زوجها السابق "علاء" بدفع نفقة شهرية لا تقـل عـن مائتي جنيه. حاول علاء الاعتراض بأن هذا المبلغ مبـالغ بـه ولكن والدها صمم علي ذلك.

استقبلت "شيرين النحلاوي" نبأ انفصال شقيقها عن زوجته بكل ألم حيث كانت صافيناز قريبة منها والتي كانت تتمتـع بحس عال وكان السبب في هذا الانفصال هو ما اقترفه شقيقها من عنت ضد زوجها والتي لا تعلم عنه أي شيء حـتي الآن.. بعد عدة أيام من نشوب الخلاف بين كلٍ من مـصطفي زوج شيرين وشقيقها علاء أبلغ ناظر العزبة السابق بيـومي أفنـدي البوليس باختفاء المهندس مصطفي منذ ليلة المشاجرة وأنه يشك في علاء وأعوانه بأنهم قد تخلصوا منه وأجهزوا عليه.

كـشف الحقيقة

قامت مباحث القاهرة باستدعاء علاء النحلاوي لمقر الإدارة وهناك طالبوه بتوضيح أين قام بإخفاء زوج شقيقته "مـصطفي ربيع" وقد أفادهم بأنه لا يعلم أي شيء عنه. واجهوه بـبعض العاملين ومنهم ناظر الزراعة السابق مما أضطره إلي الإرشاد عن معاونيه وقد تم إلقاء القبض عليهم جميعا وفي التحقيقات أدلـوا باعترافهم بأنهم كالوا للضحية اللكمات والضرب بالـشومة حتي لفظ أنفاسه ثم ألقوا به في النيل. حولوا جميعا إلي سـراي النيابة والتي فتحت تحقيقا كبيراً أثبت أن علاء لم يطلب منـهم قتله وإلقاءه بالنهر.

نشطت إدارة المباحث في البحث عن الضحية في مجري النيل وخاصة قريبا من هويس القناطر الخيرية والذي يحتجز الغرقـي ويتم كشفهم هناك. في خلال تلك الأيام تبين لهـم أن تـسعة أشخاص أبلغ عن اختفاءهم من ذويهم وقد عثروا علي ثمانيـة جثث وتبقي اثنتان واحد ممن أبلغ عن فقده والثاني هو الضحية مصطفي ربيع. تم التعرف علي سبعة جثث بينما لم يتم التعرف علي الجثة الأخيرة نظراً لأن أحد تماسيح النهر التي تسللت من سد أسوان قد التهمت جزءاً كبيراً منها وخاصة منطقة الوجـه ولكن تلك الجثة كانت ترتدي بقايا بنطلون بخـلاف البـاقين الذين يرتدون الجلباب.. تأكد لرجال المباحث بأن تلك الجثـة

لضحية مصطفي خاصة أن اثنين من المجرمين الذين ارتكبوا جريمة اعترفا بأنه كان يرتدي هذا البنطلون. أشيع الخبر وتلقاه علاء بالصدمة و لم يكن يتوقع أن يصل تصرفه الطائش إلي تلك النتيجة وتصبح شقيقته أرملة.

كان وقع الخبر علي الزوجة شيرين صادماً صاعقاً وواصل الطبيب وديع حبيب الإشراف علي علاجها ورعايتها بل كانت زوجته ماري وابنتها الشابة لورا يقمن بزيارتها من حين لآخر يحاولن تقليل الأثر الحزين عليها وعلي طفلها فقد كانت تربطهن بها صداقة قديمة منذ فترة طويلة وقد عاصرتا والدتها الراحلة نازك هانم.. طلبت مغادرة العزبة وقد أيدها اللواء حمدي والد صافيناز الزوجة السابقة لشقيقها. رغبت أن تسكن العوامة الخاصة بالأسرة والتي تقع من الجهة المقابلة لكوبري عباس "الجيزة حاليا" وقريبا منها تقع حديقة الحيوان وشارع مراد. قرر اللواء حمدي أن تحصل شيرين شقيقة علاء علي مبلغ مائتي جنيه كنفقة شهرية من ريع أرضها أسوة بابنته.

ظلت "صافيناز" تداوم علي زيارة شيرين مواسية لها لما آل عليه حالها. بعد مضي عدة أشهر تحسنت حالة شيرين وواصلت حياتها ولكن شبح موت الزوج ظل ملازما لها فابتعدت عن المرح والضحك لمن في مثل عمرها الصغير وقد ترملت علي يد شقيقها وبسببه. كانت تجلس لفترات طويلة في فرندة العوامة ناظرة إلي مياه النهر لعلها تكتشف الزوج الغريق.

لم تستكن حيث كانت تأمل بأن تجده علي قيد الحيـــاة فقـــد كانت تقاوم خبر وفاته آملة بأنه مازال علي قيد الحياة.

مضي عامان علي مولد الطفل عمرو وأصبح يحبـــو مثـــل نظراءه ثم تلاه السير المترنح والسقوط وكان هذا مـــدعاة لأن تخرج "شيرين" عن حزنها وعزلتها مركزة كل حياتها وجهدها للطفل الرضيع وبمعاونة الدادة "أم حافظ" والخادمة "بهيجة".

******

شعر مصطفي برغبة قوية تجاه زوجته شيرين وطفله وقـــد مضي عام علي فراقهم ولا يعلم عنهما شيئا ، أباح لأصـــدقائه الصيادين برغبته هذه ، أيدوا رغبته ولكنهم تخوفوا من مغبة أن يحدث له مكروه من شقيق زوجته شيرين وما سمعوه وشاهدوه يوم إنقاذه ليدل علي أنه رجل قاس القلب عتيد في الإجرام وأن حال مصطفي صعب حيث مازال يسير ببطيء بسبب العاهـــة التي ألحقها تعدي أعوان علاء عليه.

كانت روايح أكثر تعاطفا مع مصطفي ومؤيدة رغبته هـــذه وكانت تنتابها حالة من البكاء لرغبة الشاب لرؤية طفله الصغير "عمرو". مما دفع مصطفي إلي العمل وادخار ما يمكن ادخـــاره لكي يتجه إلي عزبة النحلاوي لرؤية زوجته وطفله.

******

اعتكف علاء بالعزبة و لم يعد له من الصداقات إلا القليـــل بعد شائعة المساهمة في قتل زوج شقيقته وطلاقـــه مـــن ابنـــة

حكمدار العاصمة. لم يتقدم لخوض انتخابات الدائرة التي سيطرت عليها أسرته طيلة عشرين عاما حيث أصبح مكروها من الناس بالدائرة لعنف سلوكه وحماقته مع العاملين لديه. كما أن حزب الأحرار الدستوريين الذي كان عضوا به رفض ترشيحه لتأكدهم بأنه سوف يخسر الأصوات لما حاق بسمعته فلم يرغب الحزب بالزج به في الانتخابات ويصبح لقمة سائغة لخصومه السياسيين.

*****

كانت مصر ومعظم الدول العربية في حالة من الحزن الشديد بسبب الخسارة التي لحقت بالجيوش العربية في الحملة العسكرية لمقاومة قيام الدولة اليهودية والتي أعلن عن قيامها منذ عدة شهور. مازالت قوافل القوات المصرية تعود من فلسطين وقد فقدت الكثير من أبناء مصر أثناء تلك الحرب الغير متكافئة خاصة بعد ظهور أسلحة فاسدة أدت إلي تزايد الخسائر البشرية وقد شاهد الكثير من المصريين بعض الرجال العائدين وقد فقد الكثير منهم جزءا عزيزا من جسده سواء ساقه أو يده.

******

وصل مصطفي إلي عزبة النحلاوي وقد أعياه الإرهاق لطول مسافة السير بتلك العاهة التي كانت ما تزال تؤلمه. اقترب من بوابة العزبة يخالجه شعور عارم بالخشية من أن يتعرف عليه أحد من العاملين ويخبروا شقيق زوجته فيرسل بأتباعه للقضاء عليه.

شاهده الخفير الذي يجلس لحراسة باب القصر بالعزبة فتقدم منه مواسيا مربتا علي كتفه متسائلا: هل ما ألم بـــه بـــسبب حرب فلسطين؟ شعر مصطفي براحة بأن "برهومه" الخفـــير لم يتعرف عليه كما أنه عثر علي سبب وجيه لما أصابه. هز رأسه دليلا علي أنه أصيب أثناء القتال مع اليهود.

اصطحبه الخفير إلي حجرته وقدم له الطعام وطلب منـــه أن يقضي تلك الليلة في ضيافته حين علم منه أنه متوجها لأحدي قري الفيوم وقد أعياه الإرهاق والتعب لعدم وجود مواصلات تقله حيث كان العثور علي مواصلات صعب المنال فالناس في تلك المناطق تعتمد علي الدواب في الانتقال من مكان لآخـــر والبعض يعتمد علي قدميه.

كان مصطفي مترددا ًهل يقوم بـــسؤال الخفـــير عـــن أي معلومات عن زوجته شيرين وابنه ولكنه كان يخشي أن ينتبـــه الخفير لشخصيته أو يعمل علي تعنيفه لتدخله وتجسسه علـــي أصحاب العزبة.

جاءت الفرصة المواتية عندما تحدث الاثنان وقد وجه الخفير سؤالا مفاجئا لمصطفي من أي بلد أنت وقد نسي مصطفي أنه قد سبق وأخبره بأنه من قرية قريبة من مدينة الفيوم حيث أخبره بأنه من بلدة تسمي أبو كبير وهي تابعة لمديرية الشرقية. صمت مصطفي حيث شعر أنه قد انـــدفع في الحـــديث وتـــضاربت معلوماته ولكن الخفير لم ينتبه لهذا بل بادره قائلاً:

- علي كده تعرف الباشمهندز مصطفي ربيع؟

صمت الشاب قليلا ونظر في الأرض كأنه يحاول استجماع إرادته بينما كان الخفير مشغولا في ضبط حجر الجوزة وكميه المياه. أجابه مصطفي:

- ايوه طبعا. بلدنا ريح بلدهم علي طول. تنهد الخفير ثم أكمل حديثه

- كان راجل فل والله . تعرف أنه متجوز من بنت الباشا

- مش معجول يا راجل. جول كلام غير ده

- والله ده اللي حصل لكن تجول إيه ع الدنيا ، حصلت مشاكل بينه وبين البيه ابن الباشا وساب العزبة والست هانم بعدها بكام أسبوع أخدت ابنها وسابت العزبة. بلهفه:

- متعرفش راحت فين؟

- العلم عند ربنا.

امضي مصطفي ليلته مع الخفير وقد علم بعض المعلومات عن زوجته وابنه ولكنه لم يستدل علي مكانهما ولهذا أخبر الخفير بأنه بعد زيارة بعض أقاربه في عزبة حسونة المجاورة للفيوم سوف يعاوده مرة أخري يجالسه داعيا الله بأن يتخلص من جراحه وآلامه سريعا.

عاد مصطفي إلي قرية الصيادين وأخبرهم بما توصل إليه من معلومات. عرض أحدهم بأن يتوجه للخفير يجالسه محاولا

استدراجه في المعلومات وافق مصطفي وزوده بالمكان واسم الخفير.

بعد أسبوعان توجه "خربوش" والتقي بخفير العزبة وعرفه بنفسه بأنه أحد تجار المواشي وتأخر اللوري الذي كان سوف يقله إلي بلدهم بالمنوفية. رحب به الخفير وتبادلوا الأحاديث ثم قال خربوش إنه متذكر بأنه جاء منذ عدة أعوام وإشتري بعض المواشي وكان المهندس المشرف علي العزبة رجلا غاية في الخلق والاحترام متسائلاً :

– ممكن أجابله؟ صمت الخفير قليلا ثم اقترب منه قائلا:

– البجية في حياتك .. مات الله يرحمه وغرج في النيل. دنيا كان راجل حلو خالص لكن حتحول إيه ع الدنيا والطمع ، من كام يوم وصل البوليس وفضل يسأل كل الناس عن سبب خصام المرحوم مع علاء بيه.

– الله يرحمه ، هو المرحوم متجوز وعنده عيال وإلا لسه مدخلشي دنيا؟

– الله يرحمه ، دخل دنيا وآخره ، أيوه ما هو كان متجوز بنت الباشا وخلفت له عيل زي البدر.

– طبعا جاعدين في العزبة بعد المرحوم ما توفي؟

– لا والله ، الست خدت ابنها وهدومها وراحت حته تبعهم ومش عارف هيا فين ، لكن اللي بيشتغلوا معاها بيجولوا ألها بخير ، ربنا وياها.

استمر خربوش والخفير يتبادلان الحديث دون أن ينتبه الخفير بأن مضيفه لم يهدأ عن السؤال عن مصطفي وزوجته وطفله ، كل هذا صب في مصلحة المعلومات التي استقاها خربوش من الخفير حتي عاد إلي مصطفي وأبلغه بكل تلك المعلومات التي أسعدته بأن زوجته بخير وضايقه بأنه لاقي ربه وشيرين تعلم الآن أنه أصبح في عداد المتوفين.

هدأ مصطفي من وتيرة السؤال عن شيرين وخاصة المعلومات التي زوده بها خربوش والتي طمأنته عليها وعلي طفلهما ، كما أن خبر وفاته سوف يجعل علاء النحلاوي ونسيبه اللواء حمدي يهدأن من وتيرة البحث عنه وما عليه سوي مواصلة حياته والانخراط مع تلك المجموعة الطيبة التي أحسنت استقباله وهو علي حافة الموت ، لقد عافاه الله إلا أن تلك الإصابة تركت له عاهة مستديمة تعرقل من سيره وتؤلمه.

بدأ العام التالي ومصطفي أكثر هدوءا وراحة بال وقد وبخ نفسه في بعض الأحيان لاقترانه بشيرين ابنة الباشا مفندا ومعددا مزاعم علاء بأنه ابن للفلاحين البسطاء ولا يجب عليه الاقتراب من أسياده الباشاوات والأعيان ، مازال يحاور نفسه بأن شيرين بادلته الحب وأقنعت والدها بأنه الرجل المناسب لها وبذلت كل شيء حتي جابهت شقيقها الأهوج وكل هذا من أجلي ، لكن الأغنياء يتناسون أننا معشر الفقراء بشر مثلهم بل في بعض الأحيان يلهون بنا واحتمال أن شيرين تبعت بعض تصرفات وسلوك الأسر الأرستقراطية بالتفكه والتندر علي عباد الله من

أمثالي بل للتسلية بنا ثم يتركون الرجل منا بعد أن تعلـق بهـم فيسحبونه خلفهم من ذيله ليشبعون أنفسهم وأحبائهم ضحكا وسخرية من هذا الجرو الذليل.

ازداد شعوره قربا من أسرة روايح وبدا حبه يفتـر تحـت الضغط النفسي بأن شيرين ابنة باشا مثل شقيقها في تـصرفاتها رغم أنه لم يلحظ هذا عليها ولكن البعد عنها أفضل وليساعدني الله في تحمل بعد ابني عني.

شــبك قلــــبي

طوال العام المنصرم لم تهدأ روايح من متابعة مصطفي بـــل ومطاردته بحديثها الرقيق الناعم. شعر الفتي بأنه منجذب إليهـــا رغم محاولاته التي بذلها للابتعاد عنها ولكنه لم يـــستطع فقـــد كان في احتياج شديد لمن يعطف عليه ويسعده. مـــن يكـــون أكثر الناس مقدرة علي العطاء الإنساني أكثر من تلك الفتـــاة الريفية بطيبة قلبها ونبل مشاعرها وسمـــو أخلاقهـــا وســـعيها المستمر لراحته بالإضافة إلي أشقائها الرجال الذين أنقذوا حياته وآووه في دارهم كأنه واحد منهم بل اصطحبوه للعمل معهـــم وتشرب صنعتهم ومهنتهم.

في صباح أحد الأيام شعر مصطفي بتوعك في صحته فـــآثر السلامة بأن يحصل علي راحة تلك الليلة ولا يرافـــق أشـــقاء روايح في عملية الصيد. أقبلت عليه روايح محاولة تخفيف متاعبه التي شعر بها ومنعته من مرافقة أشقائها . أعدت له كوبا مـــن اللبن وناولته له فأمسك به ولكنه أمسك أحد أصابعها فشاهد حمرة الخجل علي وجهها فرفع أصبعه من فوق إصبعها.

ابتسمت له ابتسامة لم يعلم مغزاها ولكنها تصب في محـــيط السعادة والبهجة. بهدوء تناول كوب اللبن بينما غادرت الفتاة الحجرة وأتت بعد قليل وهي تحمل بعضاً من القرص المحـــشوة بالعجوة فسعد بها خاصة أنه اشتم رائحتها وتأكد أنها يا دوب لسه خارجة من الفرن.

أثناء محاولته الإمساك بالقرص أعاد مرة أخري وأمسك بإصبعين لها. سكنت و لم تحاول فك أصابعها عن أصابعه وسألته:

- أنت باين عليك كنت شحي وعفريت؟ ليه بتعمل كده؟ أجابها:

- أبدا كنت عايز أحط شوية سكر علي اللبن والقرص أم عجوة فقلت ما فيش احلي من صوابعك!

غادرت الحجرة مسرعة ثم عادت وقد اطمأنت إلي أن جميع من بالمنزل قد غادروه فهذا هو يوم السوق وقد غادرته زوجات أشقائها للشراء من السوق بينما اتجهت أمها إلي احدي السيدات من أقربائها لتقوم علي زيارتها وعونها حيث وضعت مولودا بالأمس وتحتاج عون النساء.

أقبلت روايح باسمة سعيدة واقتربت من مصطفي حتي تلامست أنفاسهما وملست علي وجهه بكل رقة حواء وعيونها السوداء مسلطة عليه ثم أمسكت برأسه ووضعته علي صدرها مهدهدة عليه راجية منه ألا يبكي حتي لا تتبع بكاءه بعد أن هاجمته حمي الشوق لرؤية ابنه.

نظر إليها ولسان حاله عاجز عن التعبير. فهذه الشابة الرقيقة تحمل قلبا أبيضا صافيا لا يملك منه هذا الأهوج علاء الجزء اليسير ورغم فقرها وعوزها وجهلها إلا أنها رقيقة المشاعر إلي أقصي درجة.

مازالت ناظرة إليه. مد يده إلي شعرها وملس عليه هـــدوء وُيسر عدة مرات ثم وضع يده علي رقبتها من الجهـــة الـــيمني حانيا برقة لامسا عليها أيضا. تهاوت روايح و لم تشعر إلا وهي تنام علي رأسه ثم قبلته فبادلها قبلة كبيرة تنبهت علـــي أثرهـــا فنهضت مغادرة الحجرة ووقفت أمام باب الـــدار الخـــارجي والارتباك والاضطراب هو حالها فلم يحدث لها مثل هذا من قبل و لم يبدأ الشاب بل هي التي انجذبت إليه.. أصـــابتها الـــسعادة والخوف. السعادة لإحساسها برغبته منها وقد شعرت بأنفاسه الساخنة الملتهبة أثناء قبلاته لها وازدادت رغبته تلـــك محـــاولا ًجذبها إليه. أما الخوف بأن يعلم أشقاؤها بما حدث ويحدث ما لا تحمد عقباه سواء معاقبتها بـــدنيا بالـــضرب والـــسباب أو إرغامها علي الزواج من عوف التي تبغضه وكارهة لـــسيرته. أيقنت بأن حبا شديدا ً قادما في حياتها وهو ليس كأي حـــب فقد نما بمضي الأيام وقد مضت شهور عدة وهذا الشاب يحيـــا بينهم وهي التي تقوم علي خدمته ورعايته بتكليف مـــن أمهـــا فليس من المعقول أن تقوم إحدي زوجات أشقائها بخدمة رجل غريب عنهم.. هدأت روايح مما أصـــابها وعـــادت ثانيـــة إلي الحجرة وجلست في الركن المواجه لمكان نومه. نظر إليها فاردا يديه بأن تقبل عليه ولكنها تمنعت بابتسامة ساحرة زادت مـــن رغبته بها.. تحدث معها بكل رقة ومشاعر نبيلة مبديا رغبته بأنه يفكر بالارتباط بها فهل لو تقدم لأسرتها ستوافق علي ذلـــك أم

ترفض؟ حركت رأسها فتطاير شعر رأسها الجميل الناعم يمينا ويسارا قائلة:

- اسأل وشوف الجواب.

أعاد حديثه بأنه يسألها هل توافق علي الارتباط به؟ أجابته لقد أجبتك منذ دقائق. صمت والابتسامة تعلو شفتيه:

لقد كانت أحسن إجابة لأصعب سؤال. غادرت الحجرة مسرعة ثم عادت وجلست أمامه مباشرة علي ركبتيها فأمسك بيدها ، حاولت الفكاك منها فجذبها حتي ارتمت عليه فقبلها قبلة طويلة لم تفق منها إلا بعد أن سمعت عراكاً في الشارع أمام الدار بين رجلين يتحدثان بأن هذا غازل زوجته والآخر ينفي ذلك.

توقفت دماء الحب المتدفقة في شريان الحياة بأجسادهما العطشى للجنس الآخر. وقفت في مدخل الحجرة تنظر إليه وهو ينظر إليها وظلا يتبادلان النظرات خلال تلك المسافة التي لا تتعدى المترين والتي قلبت كيان كل منهما فقد كانت شفرة قوية من رموز الحب الرومانسي العالي. أشار إليها بأن تحضر إليه ولكنها تمنعت متخوفة. ظلت هكذا حتي جاءت أمها وقد بدي عليها التعب والإرهاق من طول مسافة السير.

ساعدت أمها حتي وصلت إلي سريرها ثم عادت إلي الحجرة ونظرت بداخلها فلم تجده. أضطرب حالها وتوترت من هول المفاجأة بأن يتركها بعد أن تملك عشقه منها. شعرت بيد

تجذبها من خلف باب الحجرة فقد كان مختبئا وأحتضنها بشغف وهي متخوفة من أن يقبل أحد أفراد الأسرة. هربت من بين يديه ووقفت أمام باب الدار حتي تهدأ أعصابها المتوترة ورغم هذا فقد كانت في أسعد لحظاتها. فهذا الرجل بدا راغباً بها وهي حواء والتي يسعدها بأن يعجب بها شاب هي تبغيه ولكن الخجل يمنعها من الإفصاح عن هذا.

في المساء أقبل أشقاؤها بعد يوم مشحون بالعمل. جلسوا كعادتهم يتناولون طعامهم مع مصطفي بحجرته يتحدثون بحديث جميل لا يخلو من البساطة وطابع المهنة التي يقومون بها. انهوا طعامهم وأعقبه شرب الشاي وتدخين الجوزة. فاتحهم مصطفي بالحديث بأنه سعد بالحياة بينهم. رحبوا به فأعقبها بأنه يتقدم إليهم طالبا مصاهرتهم في شقيقتهم "روايح" تبادلوا النظرات وأحدهم أسعده هذا بينما الآخر أستوضح منه بأنهم قوم فقراء وهو مهندس ورجل تعلم فكيف يوافق علي نسبهم وهم الذين لا يملكون قوتهم إلا يوما بيوم وحياتهم غير مستقرة فقد يغدر النهر بنا وتجف أسماكه وقد اختبرت هذا بنفسك وأنت تعاوننا منذ عشرة أشهر أو يزيد.

حادثهم حديث الواثق: قوت اليوم باليوم فهذا لجميع البشر فكل يوم يأتي القوت والتنفس وحين يتوقف عن إنسان يكون أجله قد انتهي ثم إذا حدثت مشكلة في عمل ما فسوف يبحث الإنسان عن عمل آخر. ألا تشاهدون الطيور وهي تسعي لكسب عيشها من مكان لآخر تعود بعدها إلي عشها تحنو علي

أفراخها. ما الفارق بيننا وبين الطيور؟ جميعنا كائنات تسبح بحمد الله.

أسعدهم حديثه والذي لم يفهموا منه الكثير لكنهم أعجبوا بمنطقه وحجته. أعلنوا جميعا موافقتهم وأنهم سوف يقدمون يد المساعدة له ولزوجته روايح ولكنه رفض هذا معلناً بأنه سوف يظل يعمل معهم وقد ادخر جزءا من المال للمساعدة في شراء قارب صيد يعمل عليه برفقة روايح

أقبلوا عليه يقبلونه ناثرين عليه كلمات الحب البريئة النابعة من القلب. تركهم أحد الإخوة يخبر أمه بالخبر السعيد. جاءت موافقتها بعدد من الزغاريد الفرحة المبشرة. في تلك الليلة ظل الفرح والسرور يملأ الدار وقد خضب وجه روايح بحمرة الخجل والفرح. وأقبل الجيران للتهنئة ومعهم أدوات الفرح من طبلة ودف ومزمار والبعض من الفتيات صديقات العروس قمن بالرقص بين النساء وأمام الدار حيث اصطحب الرجال خطيب شقيقتهم للجلوس أمام الدار وتلقي التهاني.

جلس مصطفي بينهم باش الوجه سعيد بالحدث و لم يؤلمه زواجه من أخري فهو لم يرتكب معصية أو ذنبا بل هو مجني عليه هو وزوجته شيرين لكنه راغبٌ بأن يعيش ويحيا بين الناس ويجد زوجة تحنو عليه في كربته هذه وتعد له طعامه وتشبع ظمأ جسده للجنس الآخر.

حينما اختلي بنفسه راجعها. حينما توجهت لخطبة شيرين كنت فتي قويا ًكامل الصفات الجسمانية والعقلية ولكني أتيت هؤلاء الفقراء شبه ميت وقد أصابني صهري بعاهة مستديمة بينما وافق هؤلاء علي الاقتران بشقيقتهم وبعاهتي تلك ولم أتزوج شيرين طمعاً في مال مثل ما رغبت بالزواج من روايح طمعاًفي فقر. فالرضا والسعادة والوفاق كله من عند الله ، ولي نصيب بالاقتران بها وهي لها نصيب بالعيش معي.

وطن نفسه علي السير بطرقات العزبة وقد طلب من أسرة فتاته بأن يطلقوا عليه اسماً آخر خوفاً من بطش رجال زوجته السابقة وقد وافقوه وظلوا متحيرين في اختيار الاسم الجديد حتي فاجأهم أحد الأصدقاء قادماًلزيارتهم ويدعي جابر وهنا أطلقوا عليه هذا الاسم وأصبح الريس جابر فيما بعد.. رافقت روايح "جابرا" في تنقلاته بالجزيرة التي تحيطها مياه النهر وهي جزيرة "الدهب" المواجه من الجهة الغربية حي المعادي ومن الجهة الشرقية حي المنيب بالجيزة. زادت أواصر الألفة بين جابر وروايح وفي غفلة من مراقبة الأسرة كانت تطبع عليه قبلات خفيفة سريعة. بعد مضي شهرين علي الخطبة تم عقد القران وأقيم احتفال متواضع لكنه مغلف بالحب من الأهل والجيران واستمر الطبل والزمر والغناء حتي تعدي منتصف الليل.

توجه العروسان إلي حجرتهما والتي أعدها أشقاؤها بالقليل الذي يملكونه فكل واحد منهم تصرف بالبيع في خاتم أو سلسلة ذهبية خاصة بزوجته واللائي قدمن كل هذا بنفس

راضية. كان جابر يشاهد ويسمع أحاديثهم وهـــم يتناقـــشون بصوت هادئ لا تعلوه نبرة التحدي أو الانفعال وهو في دهشة من هؤلاء الفقراء الذين يمتلكون كتر القناعة الذي لا يفني أبدا فهو دائمامتجدد.

في ليلة عرسهما أقبلت عليه روايح راغبة به فهو زوجهـــا وقبلها هو حبيبها وقبلها هو مريضها الذي داوته بقبلاتها وطببته بكل حنانها ورقتها و لم تبخل عليه بالقصص والنوادر وأغـــاني المطربات لتلك الأيام خاصة بعد ان غلف الوطن حزن دامـــس من هزيمة الجيوش العربية في حرب فلسطين وأضحت المملكـــة المصرية في حزن شديد.

بعد زواج فعلي بين جابر وروايح شعر بعدها الشاب بـــأن الدنيا مازالت بخير فقد شعر بحب أهل عروسه كمـــا أســـبغت عليه روايح من حبها وفتنتها الشيء الكثير مما جعله يرفـــل في النعيم وأصبح مصطفي أو "جابر" الزوج الهانئ الهادئ شـــاكرا لربه سرعة مساعدته وتسخير هؤلاء القوم لمساندته وبدون هذا حتي لو لم يغرق إلي أين كان يتجه وهو يعلم بان عيون عـــلاء تراقبه باستمرار وأن رجال المباحث التابعين لـــصهره ســـوف ينتظرونه ببلدته واحتمال أنهم قد ألقوا القبض علي أشـــقاؤه.. أصبح مع عروسه يقومان علي العمل وبـــدا واضـــحا خوفـــه واضطرابه من ركوب المراكب الصغيرة التي لا يزيـــد طـــول الواحد منها عن خمسة أمتار وبعرض المتر ونصف وموج النهر يحركها ذات اليمين وذات الشمال وهي تـــأرجح. أصـــابتها

الضحكات وهي تواسيه بألا يخف وبعد أن يتــدرب ســوف يصبح مثلها ومثل أشقائها بل قد يتفوق عليهم ومن المحتمل أن يصبح شيخا للصيادين ويصبح لقبه الريس جابر أسمــا علــي مسمي.

كانت روايح تقوم بعمل كل شيء بينما جــابر قابعــا في وسط القارب ممسكا به بقوة وحين يتمايل القارب كان يصيبه الهلع والجزع فينظر إليها وهي تقف علي حافة القارب سواء في المقدمة أو في النهاية وتفرد الشباك وبعد ساعتين أو أكثــر تلمها ثانية وقد أتت بمحصول وفير يعود عليهم وعلي الأســرة بالخير.

تشجع جابر رويدا رويدا وبدأ في مساعدة روايح وبــدا أن الخوف والقلق يغادره بمرور الوقت ومضت عدة أشهر أصــبح يجيد حرفة الصيد نسبيا وقل مجهود روايح وزاد مــن نــشاطه خاصة بعد أن أصابت روايح آلام الحمل بالإرهاق والتعــب.. وضعت روايح طفلة جميلة تمني بأن تصبح صورة من "شــيرين" زوجته الأولي ، ضحك من أفكاره متسائلا: وما العلاقة بــين الطفلة وشيرين؟ أصبح يعمل علي القارب بمفرده ومن أجل هذا رغب في تأمين نفسه فأصبح يعمل مجاورا لأجناب النهر مبتعدا عن الوسط حتي إذا سقط في الماء يمكنه الخروج بسرعة قبل أن يغرق رغم ان العديد من الصيادين يحيطون بقاربــه وخاصــة أشقاء زوجته والذين سوف يقدمون له يد العون والمساندة.

بدا واضحا أن حظ جابر في الصيد لا يضاهيه أحــد وقــد أوكل البعض هذا بأنه يقوم بالصيد بالأجناب حيــث تهــرب الأسماك إلي حافة النهر بعيداً عن الصنادل البخارية التي تجــوب النيل كذلك قوارب الصيد الكثيرة. كما أن جابرا كان يخشي التماسيح حيث ظهر العديد منها أثناء فترة الفيضان التالي حيث تفتح بوابات خزان أسوان حتي لا يدمر الفيضان الخزان من قوة اندفاع المياه و لم يكن السد العالي قد أنشيء بعد.

مضي شهران علي وضع روايح لطفلتــها وانــضمت إلي زوجها حاملة معها بعض الأغراض للإقامة شبه المــستديمة في القارب لأن هذا هو موسم وفرة الأسماك. في المــساء جلــس الزوجان بصحن القارب الداخلي وأشعلت روايح وابور الجاز لتعد الطعام من بطاطس وأرز يتناولونه بشهية فقــد أنعــم الله عليهم بالخير الوفير مع هدوء النهر وبعيدا عن صخب الجــيران والصراعات بين البشر. يتناولان الطعام ويتبعانه بالشاي.

أثناء الليل وبعد أن يفرد جابرشباكه في المنطقة التي اختارها للصيد يخلد مع زوجته والرضيعة إلي النوم ببــاطن القــارب ملتصقا الأجساد ويعطي كلٌ للآخر ما يحتاجه من حب وإطفاءً للرغبة المشتعلة بينهما فقد أصبحت حياتهمــا حُبــا وعــشقاً مستديما والبعض كان يتندر عليهما بإعجاب.. زادت كميات الأسماك التي كانا يرزقان بها وكان البيع يتم لــبعض الزبــائن الذين تعودوا الحضور إلي أماكن الصيادين لشراء ما يرغبونــه. في أحد الأيام طلبت روايح من جابر بأن يتجه شمالاً إلي الجيزة

وهناك توجد البيوت الخشبية "العائمات" التي في النهر وهم قوم ميسوري الحال ويمكن البيع لهم بسعر أعلي كثيراعن السعر بهذا المكان حيث إن عدد الصيادين هنا كثر وبالتالي يحدث تنافس فيما بينهم مما يؤدي لخفض سعر الأسماك.

تردد جابراً في البداية لأن تلك المنطقة تبعد عن منطقتهم ثلاثة كيلومترات ويخشي المجازفة حيث لا خبرة له في البيع. أوضحت له بأنه سبق لها أن رافقت أشقائها مرات عدة للبيع لتلك البيوت الخشبية وقد شملتهم الفرحة والسعادة بتحقيق ربح كبير لارتفاع ثمن البيع

تشجع ورافق زوجته وطفلته متجها إلي الجيزة وعبرا أسفل كوبري عباس "الجيزة حالياً" وشاهدا العوامات علي الجانب الغربي للنهر من جهة الجيزة. أخرجت روايح صوتها تنادي علي السمك الطازج. بعد قليل أسرع البعض من سكان العائمات يشيرون عليهما راغبين في الشراء. لم يمض أقل من ساعة إلا وقد انتهيا من بيع الأسماك بسعر يفوق ضعف ما يقومون ببيعه في السابق.. عادا إلي العزبة وهما أحسن حالا وقد شجعهما الربح علي أن يصبح هذا هو سوقهما الذي يتجهان إليه. بلغت الرضيعة العام الأول من عمرها وأصبحت "سعاد" الطفلة الجميلة تداعب والديها أثناء الإقامة بالمركب. كان الزوجان راغبين في ادخار خمسين جنيها ثمنا لشراء قيراط أرض وإقامة منزلا صغيرا مكونا من حجرتين وباقي الأرض يخصصانها لزراعة الخضروات اللازمة للمعيشة. بدا علي جابرا أنه تشجع

لعملية البيع ولهذا قام بالنداء علي بضاعته وبالطبع كان صـــوته أقوي من صوت روايح.

في أحد الأيام و"شيرين وصافيناز" تجلسان في فرندة العوامة نمي إلي سمعهما صوت بائع السمك. تنبهت شيرين وتوقفــت عن الحديث وبإشارة من يدها طلبت من صافيناز الإنــصات. سمعا صوت بائع السمك " السمك الطازة " وقفــت شــيرين تنظر جهة الصوت الذي كان يبعد عنها بما لا يقل عن مـــائتي متر. نظرت إلي صافيناز مضطربة متسائلة:

- الصوت ده زى صوت المرحوم مصطفي. نهضت صافيناز تربت علي كتفها:

- الله يرحمه.

عادت السيدتان للجلوس ومواصلة الحديث ولكن الصوت تكرر عدة مرات ، أيقنت شيرين أن صوت بائع الـــسمك لا يفترق عن صوت زوجها الراحل مصطفي بينمـــا صـــديقتها تخبرها بأنه تشابه في الأصوات ولكن شيرين تعيد حديثها قائلة: لا يمكن لزوجة تعشق زوجها أن تنسي صـــوته أو هيئتـــه او رائحته. إنها العشرة والحب والإخلاص المتبادل. لن أنسي مـــا حييت حبيبي مصطفي. رحمك الله وأطلت الدموع من عيونهـــا وهي تنظر إلي وليدها الذي يلعب بجوارها. انحنت عليه تقبلـــه سعيدة واحتضنته شاكرة الله أن نفحها هذا الطفل من رائحـــة زوجها الحبيب الذي غادر الدنيا ولم يكمل عامـــه الخـــامس والثلاثون.

مريت علي بيت الحبايب

سارت الأمور بالزوجين علـــي مـــا يـــرام و لم تفارقهمـــا البسمات والضحكات أثناء العمل أو بالحجرة التي يحيون بها مع أسرة روايح. من حين لآخر ينظر جابر إلي زوجته وهي تغدو أمامه برقتها ورشاقتها باسمة سعيدة. تعجب للقدر الذي يمـــنح تلك الشابة القوة والعافية والرقة والجمـــال. كـــان واضـــحا إعجابه وعشقه لزوجته روايح ولهذا كان يشكر الله بأن عوضه عن حبيبته الأولي والتي لم ينس أيامها الجميلة وقد آثر الابتعـــاد بعد ما لاقاه من شقيقها وأعوانه حيث إن المال مفسدة لمـــن لا يقدره.. شاهد روايح وهي تشعل وابـــور الجـــاز في صـــحن القارب وبجوارها ابنتها سعاد. كان ممسكا بأحـــدي الـــشباك ليستعد لفردها في الماء قريباً من الشاطئ كما تعود خشية مياه النهر المتدفقة بعنف. أعدت الزوجة الطعام حتي تـــضعه علـــي النيران المشتعلة. كانت روايح ُتعد أكلة "صيادية" وهي عبارة عن أسماك القراميط والتي تنظف وتقطع جزل وتوضع مع تقلية أو "تخديعه" المكونة من الزيت والبصل المقطع قطعـــاً صـــغيرة وكل هذا وضعته بصينية فوق الوابور.

نظرت إلي جابر بعد أن انتهي من فرد الشبكة الثانية وسألته برقتها المعهودة.

- تشرب شاي يا سي جابر؟ أشار إليها بالموافقـــة حيـــث كان جالساً علي مقدمة القارب بعد أن وجهه شطر شـــاطئ النهر مستقراً به لفترة حتي تدخل الأسماك الشباك وهذا يحتاج إلي ساعتين من الزمان يقدرها بالتقريب فهو لا يملـــك ســـاعة بيده وجلبابه ممزق من فرط القدم حيث لم يكن يملك ســـوي جلباب واحد أقرضه له شقيق زوجته "خربوش".. أعاد نظراته الباسمة إليها وفي كل مرة يشعر بأنه يكتشف كتر جمالها وفتنتها بعد أن اكتشف في البداية أنوثتها وسماحة أخلاقها وكرم أسرتها والذي لن ينساه طوال حياته.. حاول مقارنتها بزوجته الأولي شيرين ولكنه اكتشف بأن هذا لا يجوز فلا يمكنك المقارنة بين المانجو والتفاح فكل نوع له طعم ورائحة وشكل يميزه. كانت روايح متوسطة القامة ممتلئة نسبيا بالمقارنة بشيرين وذات عيون سوداء واسعة وشعر فاحم طويل أما أسنالها البيضاء والتي تكون صورة جميلة مع شفاهها فتعطيها جمالا فوق جمال. يـــشاهدها وهي تغرف الماء من مياه النهر بصحن عميق وقد وضعت براد الشاي فوق النار بعد أن أنزلت صينية الـــسمك حـــتي تعـــد لزوجها كوباً من الشاي كما طلب منها. لم تكن تخشي النهر أو تخشي أن يختل توازلها من فوق القارب صغير الحجم والذي تتحرك فوقه او بداخله بكل سهولة ويسر ورشاقة فقد تعودت علي هذا منذ نعومة أظفارها كما ألها تجيد السباحة.

تناول كوب الشاي من يدها البيضاء وقد سلط نظره علي أصابعها المنمقة وأمسك بهم وهي تبتسم له معيدة حديثها السابق لأول مرة قام فيها بهذا العمل. اقترب منها ولكنها أخبرته بأن ينتظر الليل فهو ستار أما الآن فالجميع سوف يشاهدوننا. أعاد مغازلتها وتجيبه بضحكات سعيدة حتي كادت أن تستلقي علي ظهرها من فرط السعادة. أشار إليها بالموافقة علي اقتراحها رغم أنه راغب بها الآن وقد غمزت بعينيها بما يعني بأنها ليست أقل منه رغبة وحباً له.

جلس علي حافة القارب بوضع القرفصاء وأمسك بكوب الشاي يرتشفه بسعادة بينما بدأت روايح في إعداد الطعام وصغيرتها تلعب بجوارها من الجانب الآخر بعيداً عن خطر تعرضها للنيران. ترك كوب الشاي جانبا وأسرع بالقارب للجهة الأخري حيث قد سبق وفرد إحدي الشباك بهذه المنطقة، لقد جاءته الإشارة بأنها قد امتلأت بالأسماك. حاول جذبها ولكنه لم يستطع فأتت زوجته بعد أن أمنت وضع طفلتها ببطن القارب وتعاونا معاً في جذب الشبكة حتي نجحا في وضع الشبكة فوق القارب. صاحا الاثنان معاً بسم الله الرحمن الرحيم يرزق الله بغير حساب. كانت الشبكة تحوي كميات كبيرة من الأسماك. قاما بتفريغها حتي ملأت جوف القارب ولهذا قررا بألا يقوم بفردها ثانية فلم يعد هناك مكان بالمركب يستقبل أسماكه.

جلسا يستريحان وما هي إلا دقائق حتي شعر بأن الـــشبكة الثانية قد حملت كمية كبيرة من الأسماك. تعاونا معـــا حـــتي استطاعا إخراجها من الماء. قابلتهما مشكلة أين يخزن كل تلك الأسماك. اقترحت عليه بأن يتجها إلي الشاطئ الشرقي للنهر من جهة المعادي ويقومان ببيع جزء منه والباقي يقومان ببيعـــه في منطقة عائمات الجيزة بسعر مرتفع كما تعودا.. جلس الزوجان علي شاطئ النهر يحصلان علي قسط من الراحة بعد المجهـــود الذي بُذل في إخراج الشباك وتفريغها. اشتمت رائحة الطعـــام الشهي فأطفأت النيران وجلست مع زوجها استعدادا لتنـــاول الطعام بينما رضيعتها تنام بجوارهما علي جسر النـــهر بعـــد ان قامت روايح بتغطيتها بجلبابها القديم.. بسم الله الرحمن الرحيم. وضع كل منهما يده في صينية الطعام ولكنهما شاهدا عـــدداً من الأفراد يسيرون قريباً منهما. أشارا إليهم. تفـــضلوا معنـــا نتناول الطعام. وقف القوم قليلاً ثم أقبلـــوا علـــي اســـتحياء مترددين. نهض من جلسته واقفا واستقبلهم مرحبا باسما بينمـــا روايح أعادت الترحيب بطريقتها البسيطة التي تدفعك إلي حبها والشعور بالإخوة معها.. شاهد القوم الطعام وقبل أن يتناولوه قدموا شكرهم للأسرة الكريمة وعرفوهم بأنفسهم بـــأنهم مـــن أهالي فلسطين والذين طردوا من ديارهم في أعقاب الحرب التي انتهت العام الماضي. لقد قدموا سيرا علي الأقدام طوال شهرين

وكل منطقة يقابلهم بها الناس يقدمون لهم يـــد العـــون وهـــم متجهون إلي الصعيد بقرية تتبع مدينة مغاغة حيث تعرفوا علي أحد ضباط الجيش الذي كان يحارب اليهود العام الماضي وهو **القائم مقام عزت سليم** وقد وعدهم حين زيارتهم مصر بأنـــه سوف يستقبلهم بما يناسبهم سعيداً بمشاهدتهم مرة ثانية.

كانت المجموعة لأسرتين كبيرتى العدد فلا يقل مجموعهمـــا عن ثمانية عشر فرداً وكان يغلب عليهم العنصر النسائي حيث عدد الشباب والرجال ستة فقط أما الباقين فهن مـــن النســـاء مختلفي الأعمار.

امتدت أيادي كثيرة إلي الطعام بينما نهضت روايح وأتـــت بكمية كبيرة من الأسماك وقامت تعد وجبة أخري وقد تعاونت معها بعض النساء وظل الرجال والأطفال يتناولون طعامهم.

أقبل عصر هذا اليوم وقد أصبحت المنطقة علي جسر النهر الشرقي يشغلها أكثر من عشرين شخصاً وقد تناولوا طعامهم الذي رزقهم به الله وشكروه وحمدوه علي نعمته هذه.

جلس جابر مع الرجال وطلب منهم أن يقوموا ببيع الأسماك التي علي الجسر لمن يرغب وسعر البيع قرشان "للأقـــة" والـــتي تعادل ثلاثة أرطال إلا ربعاً. ودربهم علي كيفية تجميع الأسماك وربطها كمجموعات بوضع نبات "السمار" الموجود بـــشاطئ

النهر بخياشيم السمك. قام أمامهم يدرهم علي هذا وشـــعروا بأنها ليست من الصعوبة ، ودعهم لأنه ســـوف يتوجـــه مـــع زوجته بباقي الأسماك لبيعه والعودة قبل الغروب.

توجه الزوجان وبرفقتهما الرضيعة سعاد إلي منطقة عائمات الجيزة لبيع أسماكهم بين الدعاء من الضيوف لهمـــا بالمكـــسب الوفير والعودة إليهم غانمين ، أما كبيرهم وهو رجل طـــاعن في العمر نظر إلي جابر قائلاً :

- روح يا بني وربنا ينولك ما ترغبه وتتمناه ويبرد قلبك بما تفكر فيه ليل نهار.

أسعدت تلك الكلمات جابراً وزوجته واتجها من فورهمـــا إلي العوامات راغبين ببيع الأسماك التي بحوزتهم حتي لا تفـــسد من شدة حرارة شهر أغسطس . اقتربا من العوامـــات وهمـــا يُعلنان علي بضاعتهما. استطاعا بيع جزءاً منها وقريبـــاً مـــن إحدي العوامات لم ينادي جابرا علي أسماكه ولكنه شدا بأغنية محمد عبدالوهاب.

مريت علي بيت الحبايـــب من اشتياقي أناجي أهلـــــه
ما دام مليك القلب غايب وفي التلاقي يبخل بوصله
وقفت لحظة هنية من غير عزول او رقيـــب
أنعش فؤادي وعيني بجو فيـــه الحـــبيـــــب

نهضت شيرين من نومها في قيلولة فصل الصيف وهي تردد:

- مصطفي. مش ممكن!! هوه مصطفي. نادت علي خادمتها بأن تقوم بطلب بائع السمك. أطلت الخادمة من شرفة العوامة:

- يا عم يا بتاع السمك. تعالي.

أسعد هذا جابراً وزوجته بأنه بات قريبا من بيع أسماكه المتبقية وسيعود مجبور الخاطر إلي ضيوفه من أبناء فلسطين. اقترب القارب من العوامة وشيرين تنظر إلي الرجل مهلهل الثياب حافي القدمين يرتدي جلبابا قصيرا ممزقا من فرط القدم نظرا لطول قامته يسير ببطيء ويعرج في مشيته وقد وضح عليه سوء الحال من طول اللحية وآثار الشمس التي لفحت وجهه. ربطت روايح القارب بالعوامة وناولت الأسماك إلي زوجها الذي صعد إلي سلم العوامة الضيق من جهة الشاطئ.

اقترب الرجل من نهاية السلم فنظر لأعلي فشاهد شيرين تقف وبجوارها ابنه "عمرو" لم يتمالك نفسه من الدهشة فترنح ولم تسعفه ساقيه فسقط في الماء. شاهدته روايح وهي تعلم أنه لا يجيد السباحة. قفزت ناحيته قبل أن تبتلعه مياه النهر بفيضانه العارم. قاومت روايح المياه بينما صرخت شيرين طالبة النجدة تركت عمرو للخادمة وقفزت في مياه النهر وتعاونت السيدتان لإخراج جابر من المياه والذي كان في حالة من الإغماء حيث

ابتلع كمية منها كما أصابته سقطته بخوف ووجل من الغـــرق. أفاق فشاهد نفسه مسجي علي أرضية العوامة ونظـــر يمينــه فشاهد روايح ونظر يساره فشاهد شيرين. عاد لإغمائه مـــرة أخري والسيدتان في حالة من الجذع وقد سألت شيرين روايح.

- جوزك اسمه إيه؟ أجابتها بانفعال وضيق:

- جابر يا ست هانم. مليش غيره في الدنيا ربنا رزجني بيــه زي السمك. طلع ليا من البحر مع السمك ويجـــي جـــوزي ونصيبي. جوم يا جابر.

نهضت شيرين واقفة بينما الخادمة تطالبها باستبدال ملابسها المبتلة ولكنها لم تستجب لحديثها أو تنتبه إليه مـــن الأصـــل. أعادت النظر إلي الرجل المسجي أمامها والذي يشبه زوجهـــا مصطفي إلي حد كبير. تتساءل:

- ممكن الرجل ده يكون مصطفي جوزي وأبو ابني؟ لكـــن حيكون إزاي ومصطفي مات من سنتين ودفن. بـــس مراتــه بتقول إنه نصيبها وطلع من البحر زي السمك. مش معقـــول كلامها ده لأنه كلام علي علاته بتاع صيادين زى مـــا كنـــا بنسمع عن حكايات جنية البحر. كلام وتخـــاريف ملـــهاش معني.. قطع تفكيرها نهوض جابر من إغماءه مما دفع روايـــح لإطلاق العديد من الزغاريد وأتبعتها شيرين بكلمـــات باسمـــة مهنئة جابراً علي نجاته.

- سلامتك يا ريس جابر. نظر إليها ومازال جالساً أرضا فقد سمع صوت حبيبته والذي سمعه لأول مرة بينما كان جالساً أسفل شجرة التوت في يوم قيظ شديد الحرارة يردد بنفسه ما أشبه اليوم بالبارحة.

- الله يسلم سعادتك يا ست هانم. نهض واقفاً ونظـــر إلي ابنها متسائلاً:

- ابن حضرتك؟

- ايوه ابني ، وما يعرفشي أبوه اللي مـــات مـــن ســـنتين. أدمعت عيناه وقد تأثرت شيرين لشعوره المرهف بينما ودعتها روايح متجه إلي القارب لتراعي رضيعتها. صاحت شيرين طالبة من خادمتها إعداد جلباب للريس جابر. تساءلت الخادمة:

- مافيش يا ست هانم جلاليب رجالي غير بتوع المرحـــوم مصطفي بك.

- أنا عارفه. حدثت جابراً. تاخد الجلبية ولكن علـــشان خاطري تجيبها تاني لأنها من ذكري زوجي الراحل ووالد ابني.

- حاضر يا ست هانم. ربنا يخليلـــك ابنـــك. ثم بكـــي. تساءلت:

- ليه بتبكي؟

- معلش. صعب علي الصغير ده انه ما يشوفش أبـــوه ولا أبوه يشوفه. ممكن أسلم عليه وأبوسه؟

- ممكن ولكنه براوي شويه ومش بيحب يتعرف علي طول.

أتجه جابر للطفل وجلس علي ركبتيه وأشار إليه فأسرع الطفل يلبي تلك الإشارة وأحتضنه جابر وعاد ينشج بكاءه ثانية. دُهشت شيرين وأتت الخادمة فناولته الجلباب فتواري في بدروم العوامة وأبدل الجلباب وهنا أشارت شيرين إلي روايح والتي كانت تتابع ما حدث في لقاء زوجها بالطفل الصغير وقد تبعت دموعه بمثلها. أشارت شيرين إلي روايح طالبة منها أن تتبع الخادمة لتعطيها جلبابا من ملابسها وطلبت منها ذلك قائلة:

- أحسن جلبيه عندك. فاهمه يا بهيجة؟

انتهي الزوجان من استبدال ملابسهما المبتلة وهنا سألت شيرين جابراً :

-أنت ملكش أخ توأم او أخ وخلاص؟ نفي هذا بهزة رأس وشكرها مخبرا إياها بأنه سوف يعود بالجلباب إليها فرجته هذا بينما طلبت من روايح أن تحتفظ بالجلباب كما أشارت إلي الخادمة بأن تشتري كل الأسماك التي تحوزهم وقد دهشت الخادمة لكثرة الأسماك ولكنها نفذت ما رغبت به سيدتها.

تحرك القارب عائداً من حيث أتي ووقفت شيرين ملوحة لراكبيه بإشارة مع السلامة ووداعا بينما روايح مسرورة مسن

حُسن اللقاء ونجاة جابر من الغرق وبيع كل الأسماك بمبلغ كبير وهي تردد "هذا نصيب ضيوفنا الغرباء الذين قدموا إلينا هـذا اليوم"

جلس جابراً مشغول البال والفكـر والوجـدان متـوتراً مضطرباً ما بين سعادته بأن شاهد حبيبته شيرين وابنه الحبيب عمْرو وما بين توتره لما صبته شيرين في رأسه من أنه قد مات، تساءل: كيف سيصبح عليه الحال بعد أن تتعرف عليه شـيرين أو يقوم بكشف شخصيته لها؟ ماذا سيصبح عليه حاله بعد أن أصبح زوجا للاثنتين؟ لم يجد إجابة علي سؤاله. انشغل باله عن تلك الأسئلة وشارك زوجته في سعادتها وأن الله أكرمه في هذا اليوم بمشاهدة أحباءه شيرين وطفله والذي اشتم عبير أنفاسـه الجميلة وهو يحتضنه وتذكر دعاء الشيخ القادم من فلسطين بأن يبلغه الله أمانيه بلقاء الأحباء الذي يهوي لهم ويبرد نار فراقـه علي أحبائه. توقف متسائلاً:

هل كان الله سميعا مجيباً للدعاء؟

بعد مرور يومين علي هذا الحدث عاد جابر مـع زوجتـه وطفلته إلي العوامة لتسليم شيرين الجلباب ممنيا نفسه بمشاهدتها ومشاهدة ابنه عمر ولكن خاب ظنه حيث كانت شيرين مـع وحيدها في زيارة لصديقتها صافيناز.

مضي أكثر من أسبوع علي هذا اللقاء الغير متوقع بين كلّ من شيرين وعمرو ومصطفي وقد انهمك الرجل مع ضيوفه من

الشباب والرجال القادمين من أرض مهد المسيح عيسى بن مريم وهم في انتظار سفر الوفد الذي سيغادرهم إلى عزبة الضابط الشهم الذي تقابل معهم في العام الماضي أثناء الحرب مع اليهود.

أهــل المــروءة

في كل صباح يعاون جابر شابين من ضيوف مصر بالعمـــل علي قارب الصيد وكأن الله يعلم ما يحمله من هم مـــن أجـــل هؤلاء المشردين علي يد من اغتصبوا أراضيهم ووطنهم. كـــان رزق النهر وفيرا وقد اندمجت النسوة مع زوجتـــه في العمـــل وتجميع الأسماك للقيام ببيعها للراغبين. مازال جـــابر يفكـــر في زوجته وابنه الذين شاهدهما لمرة واحدة كاد فيهـــا أن يفقـــد حياته من هول المفاجأة.

في أحد الأيام وأثناء قيام جابربيع بضاعته تـــساءل احـــد أصحاب العوامات بعد أن أبتاعه السمك وشعر بود نحوه مـــن حُسن حديثه وجودة بضاعته حيث أثنت زوجته علي أسماكـــه الطازجة وُحسن طعمها. سأله الرجل لماذا يزك علي قدمه بهذا الشكل. أوضح له جابراً بأن السبب في ذلك إصابة من ضربة عصا علي مفصل قدمه و لم يعالج علاجاً مناسبا. طلـــب منـــه الصعود إلي العوامة ، فحص قدمه بعد أن بين له بأنه طبيـــب عظام بمستشفي دار الشفاء.

نظر إليه الطبيب ويدعي شوقي النجار قائلاً : هل ستكمل حياتك بتلك الإصابة المؤثرة علي سيرك والتي سوف تقلل من سهولة حركتك؟ لا يجب هذا يا بني. سوف أقـــوم بعلاجـــك حتي تعود كما خلقك الله والعلم تقدم وثق بأنني سوف أوفـــق لما أقول.

أجابه جابر بأنه فقير ولا يملك ثمن العلاج. ابتسم له الطبيب موضحاً بأنه لا يريد منه مليما واحداً فالعلاج في المستـــشفي خيري ويدفع نفقاته من أصحاب أهل المروءة والخير كما أوقف البعض من الأثرياء بعض ممتلكاتهم من أجل هذا الغرض. حدد له موعداً يقوم بزيارته بالمستشفي وبعد العلاج سيظل لا يعتمد علي ساقيه لمدة لا تقل عن شهر.

طالبه جابر بالتأجيل حتي يرتب معيشته ، غـــادره شـــاكرا مروءته وعاد سعيدا باسماً إلي زوجته وأسر لها بما أخـــبره بـــه الطبيب وقد أسعدها هذا وتساءلت لماذا لم تقرر موعدا لزيارة للطبيب؟ أفادها بأنه منتظر أن يتوجه ضيوفه إلي زيارة الصعيد ولقاء الضابط الهمام الذي عرض عليهم ضيافتهم بعزبته هناك.

*****

اتفق جابر مع شيوخ القادمين من فلسطين بترك الزوجات والفتيات علي أن يظل برفقتهم رجلين ويتجه أربعة منهم للقاء الضابط حتي يتم الاتفاق علي التوجه إليه جميعا بـــدلا مـــن تحميلهم جميعا مشقة السفر إلي الصعيد في هذا الحر الـــشديد. وافقوه الرأي فأخرج من جيبه عشرة جنيهات هي كل ما كان يمتلكه لشراء قطعة الأرض لبناء داره فوقها كما وعد روايـــح منذ أشهر وقد استطاعا تدبير هذا المبلغ علي مدار أربعة أشهر.

رافق جابر الرجال الأربعة إلي محطـــة قطـــارات الـــصعيد بالجيزة حتي يتأكد من ركوبهم القطار الصحيح وأوصي بعض

الركاب بالتنبيه علي القوم حين وصـــول القطـــار إلي مركـــز مغاغة.

وصل الوفد المكون من شباب ورجال فلسطين إلي عزبـــة سليم التابعة لمركز مغاغة وهناك أرشدهم بعـــض الأهـــالي إلي موقع قصر العائلة. بعد مسيرة نصف ساعة وصلوا إلي القـــصر فوقفوا أمامه وقد تملكتهم الدهشة والإعجـــاب مـــن روعتـــه وفخامته حيث كان مشيداً علي مساحة واسعة تحيط به حديقة كبيرة وأشجار المانجو العالية ونخيل الزينة بساقه البيضاء واضحة للعيان من خارج الأسوار والقصر مكونا من دورين بلون أبيض تعلوه النقوش الفرعونية ويغلفه الهدوء والصمت.

شاهدهم الحارس الخارجي والمزود ببندقية متسائلاً عمـــا يريدون. بعد أن تبادلوا التحية والسلام والمـــصافحة. طلـــب كبيرهم لقاء سيد القصر وقد دُهش الحارس متسائلاً إن كانوا علي علاقة به أو لموعد معه وقد أجابوه بأنهم علي علاقة به منذ العام الماضي وقد طلب منهم زيارته حين الوصول إلي مصر.

أشار الحارس لأحد العاملين والذي يقف علي باب القـــصر الداخلي وأخبره بالوفد الذي يرغب بزيارة البيه. عاد الرجـــل بعد قليل ورافقهم إلي داخل القصر. دلفوا إليـــه وهـــم علـــي دهشتهم مستمرين وفي القاعة الرئيسية بمدخل القـــصر طلـــب منهم المرافق الجلوس حتي يقبل البيه لاستقبالهم.

مازلت عيون القوم تدور بحوائط القاعة تجول ناظرة متعجبة من الفخامة والرقة وتبادل البعض الأسئلة باحتمال خطئهم في الشخص الذي يرغبون في لقاءه. لم يخرجهم من حيرتهم سوي حضور البيه. شاب في العشرينات من العمر يرتدي بدله أنيقة باش الوجه وأقبل مصافحاً معرفا نفسه:

- خالد عزت. علت البسمة وجوه الضيوف بأنهم لم يخطئوا العنوان أو الشخص. جلسوا وكل قام يعرف نفسه لصاحب القصر. أتي الخادم بفناجين الشاي برفقتها بعض من أطباق الحلوي وقد بادرهم الشاب محييا مرة أخري بأنكم من أجود الناس وأخوتنا أبناء فلسطين والذين يعانون الألم لاغتصاب أرضهم.

أثناء تناولهم الشاي والسعادة تشملهم تساءل كبيرهم:

- كيف حال سعادة القائم مقام؟ نظر الشاب إليهم صامتاً لفترة قصيرة تخيلها القوم بأنها دهراً من الزمن خاصة ظهور بعض لمعة في عينيه ثم أجابهم بهدوئه:

-بابا .. الله يرحمه.

ترك الرجال فناجين الشاي وتبادلوا النظرات الحائرة والتي قابلتهم لحظة دخلوهم القصر ثم تداركوا سهوهم قائلين تباعاً . البقية في حياتك. إنا لله وإنا إليه راجعون. تساءلوا:

- هل كان الباشا مريضا؟

- أبداً كان بصحة جيدة لكنه لاقي ربـــه في قتالـــه مـــع الأعداء في معركته معهم بنطاق مدينة القدس المـــشرفة أثنـــاء محاولة احتلالها. صمت الرجال والأصغر عمراً خرجت مـــن عيونهم دمعة الحزن للفراق أما الأكبر عمراًفقد هتف أحدهم:

- لقد نال الشهادة في خير ميدان وموقع. وتساءل:

- كيف علمتم بالحادث؟

- إصابة شديدة في المعركة نقل علي أثرها بسيارة إسعاف عسكرية من ميدان المعركة إلي القاهرة وهنـــاك في المستـــشفي العسكري حاولوا إنقاذه ولكن محاولاتهم التي استمرت يومين لم تنجح ولاقي ربه راضيا مرضيا. ساد المكان صمت لفتـــرة ثم تساءل شيخهم:

- يعني المرحوم دُفن بالعزبة؟

- ايوه. في مقابر العائلة.

- هل يمكننا زيارة قبره وقراءة الفاتحة علي روحه الطاهرة؟

- بكل تأكيد ولكن بعد أن تتناولوا طعامنا وأعلم الـــسبب في قدومكم لزيارته.

- الحقيقة إحنا تقابلنا معاه جنوب مدينة غزة قبل العمليات مباشرة وتعرفنا علي شخصه الرقيق والشجاع ودارت بعـــدها بعدة أيام معركة مع الأعداء استطاع بقواته أن يلحق بهم هزيمة

منكرة رغم تفوق الأعداء عدداً وعدة وقد نضب مخزون قواته من الطعام. رغب ان نمده بالمعونة من غـــذاء ومـــاء وعـــلاج جرحاه وقد قدمنا ما نستطيع له ولجنوده الشجعان وقبل انتقاله بفرقته العسكرية قدم شكره لنا طالبا منا زيارتـــه في مـــصر في تلك العزبة حين قدومنا وسوف يستقبلنا بما يليق بنا وقد أتينـــا إليه بعد أن ضاقت بنا المعيشة والمقام وبعد أن طُردنا من ديارنا تحت قصف الأعداء ومنذ حوالي شهرين ونحن نـــسير يومـــا ونرتاح آخر حتي وصلنا بعون الله إلي مقره ولكنه كما كـــان شجاعاً في الحرب وسباقاً إلي التضحية بنفسه ليزود عن أرض المسلمين كان أيضاً سباقاً إلي الانتقال إلي الدار الآخرة فقـــد كان مرضياً عليه من الله دنيا وآخرة .. سكن ابن الشهيد وهو يستمع إلي بطولة والده والتي لم يعرف عنها أحـــد حيـــث إن المصريين تعودوا كتمان كل ما هو قيم ولا يخرج إلي الـــسطح سوي التفاهة من الأخبار والإشاعات وتلويث السمعة. نظـــر إليهم ولسان حاله متسائلاً لماذا لم تنشر الدولة بطولات أبنائها علي الشعب بدلا من تجرع مرارة الهزيمة دون ذكر البطولـــة. الحرب هزيمة ونصر لكن الحرب أيضا بطولات وتضحيات من شباب هذا الوطن فلماذا لا يعلم الناس بكل تلك البطـــولات التي قام بها والده وجنوده ولاقوا ربهم شهداء فيكرمهم الله بأن يضعهم في مصاف الأنبياء والصديقين ولكن لا يذكرهم العباد بأي شيء حسن متجاهلين ذكراهم !!

أمر الشاب أعوانه بإعداد الطعام ولكن القوم كـــانوا غـــير راغبين في تناول أي شيء حتى أنهم لم يتذوقوا بـــاقي فنجـــان الشاي لمجرد سماعهم نبأ استشهاد البطل الذي ضحى بحياته من أجلهم ومن أجل إخوانهم في فلسطين. شـــعر القـــوم بـــأنهم الملومون في هذا وأن هذا الشاب الصغير الجالس أمامهم حرم من والده وأصبح يتيما بسبب مشكلة خاصة بوطنهم وليست خاصة بوطنه أو به. حاول كبيرهم الاعتذار ولكن الشاب كان حاسماً مردداً بأنه لو كان والدي حيا يرزق أكنـــتم تقبلـــون الطعام؟

صمتوا جميعا حيث إن الشاب ســـألهم ســـؤالاً يعلمـــون إجابته. توجهوا إلي مائدة الطعام الفاخرة وتناولوا طعامهم وهم واجمون ولكن الشاب كان حصيفاً إذ أوضح لهم بأنه فخور بما قام به والده وجنوده وإنه ليشرفه أن يصبح ابناً للشهيد عزت سليم متسائلاً وهو يشير إليهم جميعا ومشيراً إلي صدره. مـــاذا سيكون عليه حالنا بعد خمسين أو ستين عاما؟ هل سنظل أحياء أو سوف نلقي الله كما أخبرنا في كتابه الكريم. أكدوا جميعـــا بأن أصغرنا عمراً لن يكمل خمسين عاما وسيلقي ربـــه. هنـــا ابتسم لهم مؤكدا حديثه. إذا لقد كرم الله أبي بأن منحه صـــك الشهادة فلماذا إذا الوجوم والحزن الذي يعتلـــي وجـــوهكم السمحة. أرجو منكم جميعا أن تشعروني بأن أبي لاقي ربه بعد أن قام بواجبه نحو وطنه ونحو المسلمين أسوة بالصحابة الـــذين نشروا رسالة الله مع نبيهم رسول الهداية محمد بن عبدالله.

هلل القوم تاركين التهام الطعام بعد أن أسبغت كلمات الشاب ابن الشهيد الفرحة والبهجة علي وجوههم الحزينة. أشار إليهم بتناول طعام الشهيد عزت سليم. اندفعوا إلي الطعام يتناولونه بشهية ومتعة كما أمرنا الله.. بعد الانتهاء من تناول الطعام جلسوا ثانية في قاعة الاستقبال الرئيسية يحتسون القهوة وبعدها قال لهم الشاب:

– ما حاجتكم من الله وأستطيع أن أقوم بتلبيتها لكم؟ ترددوا في الإجابة وخاصة كبيرهم الذي خجل من طلب ما يرغبون وجاءوا من أجله ولكن شاباً صغيراً وفي عمر ابن الشهيد تجرأ وخالف العرف القبلي وذكر سبب مجيئهم. سمعه الشاب بهدوء ثم ابتسم لهم قائلاً:

– نعم أعمامي وإخوتي سوف ألبي لكم كل ما طلبتموه من الله والذي سوف يعينني لأن أمد يد العون لإخوتي في الإسلام والعروبة وأكون امتداداً لمسيرة أبي الذي ضحي بحياته من أجل هذا الهدف النبيل. نظر في ساعة يده منبها بأن المساء سوف يقبل بعد ساعة فهيا بنا لنقرأ الفاتحة علي روح الشهيد.. نهض القوم ورافقهم الشاب الصغير وقد فوجئ الجميع بانضمام طفلين في الخامسة عشر والثامنة إليه وأشار خالد ابن الفقيد معرفاً بهما. هؤلاء أشقائي الصغار والذين دائما ما اصحبهم لزيارة قبر والدنا ترحماً عليه وعلي كل من حارب وجاهد في سبيل مصر والعرب.. ظهرت الدموع التلقائية الحارقة في عيون القوم وقد زاد حزنهم بأن الشهيد ترك هاذين الصغيرين

دون رعايته وقد تفهم خالد ما يفكرون فيه حيث قال باسماً: لماذا تنسون الله دائما؟ وقد دُهش القوم ولكنه استمر محدثاً: أيها الإخوة. في السماء يوجد الله الخالق العالم بأمور عباده وسوف يرعى أشقائي الصغار أفضل آلاف المرات من رعاية أبي رحمه الله. ألا تتذكرون حديث المصطفى عليه الصلاة والسلام حيث كان دائما ما يكرر حديثه هذا أمام الصحابة الأجلاء قائلاً: " أدبني ربي فأحسن تأديبي" صدق رسول الله صلي الله عليه وسلم.

توقف القوم عن السير ناظرين للشاب بكل دهشة وإعجاب حتى أنهم شعروا بضآلة إيمانهم أمام هذا الشاب وقد تفهم ما يدور بخلدهم حيث سألهم: تعتقدون بأن ما أقوله لا يناسب عمري وأنا أؤيد استفساراتكم ولتعلموا بأنني لم أكن علي هذا الحال ولكن بعد انتقال أبي للحياة في الدار الآخرة تبدلت وتغيرت تصديقا لقول الله عز وجل في كتابه الكريم : قال الله تعالى:

" وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١)

صدق الله العظيم.

هتف القوم وقاموا بعناق الشاب وهم يرددون الله أكبر ولله الحمد. يكمل حديثه إليهم قائلاً:

منذ حياة أبي الثانية تبدلت من السيئ إلي الأحسن فقد كنت مهملاً عملي بمتابعة العزبة بعد تخرجي من الجامعة ولم أكن مواظباً علي الصلاة ولا أهتم بالفقير أو المحتاج وكل هذا كان مخالفا لسلوك أبي وكان يصيبه الضجر والضيق ولكن بعد أن أبلغتنا المستشفي العسكري بما حدث لأبي وأنه انتقل إلي جوار ربه في حياة ثانية أحسن وأبهج من الأولي "توقف خالد باسماً" تخيلوا إلي جوار ربه. ليلة أن وصل جثمان أبي الطاهر من المستشفي وكان ليلاً وقد تم غسله وتكفينه بها وضعناه علي سريره وجلست بجواره ناظراً إلي وجهه المشرق ولا أتقول بهذا لأنه والدي ولكن هذه حقيقة مؤكدة لأن القرآن بشرهم بأنهم فرحين بلقاء الله. لا أعلم ما كنت أفكر فيه وكنت أسمع نحيب أمي وشقيقاتي ولم أبال ولم أذرف دمعة واحدة عليه ولكني شعرت بأن قلبي يزداد حجما وينمو بداخلي وشعرت بهواء رطب منعش دخل إلي جسدي مع التنفس وعلمت بأن هذا الرجل المسجي أمامي سوف يصبح في تراب الأرض غداً.

حدثته متسائلاً مهنئاً.. لقد حصلت علي كل شيء يتمناه أي إنسان مؤمن عاقل فلقد حاربت الأعداء وبُشرت بالجنة وجسدك أمامي لا يتحرك ولكن الله قال إنك حي قريب منه وبجواره. هنيئا لك ولكل من سار علي هذا الدرب.

نهضت من جلستي واتجهت إلي المكتبة الخاصة به وأتيــت بكتاب الله والذي لم أكن أقرأ به إلا في شهر رمــضان فقــط واصطحبت شقيقي وجلست أمام والــدي وشــقيقي علــي الأحناب وقرأت سورة الرحمن ولا أعلم ما حدث لي قد أكون قد أصابتني الهلوسة وشعرت بأن جسدي مرتفعاً عن الــسرير بعدة سنتمترات ومازلت ناظراً إلي جثمان والــدي وكــأنني أشاهده يرتدي حلة جميلة متجها إلي حفل عرس رائع.

أمضيت ليلتي علي هذا الحال وقد تبادل أشــقائي الــصغار قراءة القرآن وقد أثلج هذا قلوبهم الصغيرة فغادرنــا العبــوس والحزن وتبدل إلي الإيمان بقضاء الله وقدره منتظرين يوم لقــاء والدنا بالعالم الآخر. انعكس هذا علي أمي وشــقيقتي وقــد دهشن في بادئ الأمر معتقدين بأنها حالة نفسية واكبت الحدث ولكن بعد أن جلسن معنا ساد هذا الشعور بعد أن اعتــراهن الوجل والخوف من حجرة أبي.

سار الرجال مترنحي الرؤوس باسمين فرحين حتي شــاهدوا شواهد القبور وتبعوا الشاب وشقيقيه حيث توقف الجمع أمام قبر كتبت عليه بياناته علي لوحة رخامية"

بسم الله الرحمن الرحيم

إن لله وإن إليه راجعون

قبر الشهيد الأميرالاي عزت سليم

والذي نال الشهادة

في معركة الشرف ضد الأعداء

ولد عام ١٩٠٠ واستشهد عام ١٩٤٨

قرأ القوم الفاتحة علي روحه الطاهرة وأقبل بعض المقــرئين لهــذا الغرض وقرأ بعضهم جزء عم وانتهوا وعادوا إلي القصر وقد أشرقت الوجوه بما لمسوه من هذا الشاب المؤمن القريب من الله كما ادهشهم هدوء وسكينة الطفلين وقد بدا عليهما تتبع درب الشقيق الأكبر.

أمضي الجميع سهرة إيمانية وروحانية رائعة برفقة أبناء الــشهيد بعد أن تناولوا طعام العشاء وقد أُعدت لهم المَضيفة الخارجية للقصر وسهر علي راحتهم ثلاثة رجال من أتباع نجل الشهيد.

اليوم التالي بعد تناول طعام الإفطار جلس خالد معهم وأخبرهم بأنه طوال الليل لم يغالبه النوم مفكراً في حالتهم وقد علمت منكم بأنكم تعملون علي الزراعة ورعي الأغنام ولهذا فسوف أسلمكم جزءا من العزبة تعيشون فيه وتعملون ويكون ناتج العمل يقسم بيننا حسب ما هو وراد في كتب الفقه.

حاولوا الاعتذار وأنهم سوف يعوضهم الله بمكان آخر ويكفيــه رعاية ومتابعة العزبة وأشقائهم ولكنه كان مصمماً علي أن يقتفي أثر

والده الشهيد. اتفقوا معه علي العودة إليه بعائلاتهم خلال شــهرين حتى يُعدوا أنفسهم. حاول مساعدتهم بمبلغ مــن المــال ولكنــهم اعتذروا في إباء وشمم وأخبروه بأن رجلاً فاضلا يعمل صياداً علــي نيل المعادي يستضيف أسرهم لديه وإنهم سوف يقضون تلك الفتــرة للعمل معه حتي يُعدوا أنفسهم ومــشاركته في العمــل ردا لجميــل ومروءة قام بها وما دفعه من مال من جيبه الخاص من أجل أن يصلوا للقاء الصديق والشهيد.

طلب من معاونيه مرافقة ضيوفه إلي محطة القطارات ودفع ثمــن تذاكر القطار. جلس الرجال في القطار وهم في دوامة الفكــر مــن البطل الذين تقابلوا معه لأول مرة قريباً من مدينة غزة منذ عــامين وبين أبنائه الصغار عمراً والرجال فكراً وتصرفاً.

وصلوا إلي محطة قطارات الجيزة وركبوا عربة كارو يجرها بغــل كما كان شائعاً في تلك الفترة حتي وصلوا إلي شاطئ النيل وشاهدوا بعض الصيادين فطالبوهم بأن ينقلوهم إلي منطقة الريس جابر.

هكذا وصلوا إلي عائلاتهم والتي أسعدتهم أخبار ما نقــل إلــيهم وشاب بعضهم الحزن علي ذكر البطل الشهيد وأغلبهم يتذكرونــه حينما كان ضيفاً عليهم بجنوده أثناء الحرب مع الأعداء. أسعد هذا جابراً رغم أنه كان يبغي بقاء بعض الشباب لديه لمعاونته علي العمل حتي ينتهي من العلاج والذي أخبره به الطبيب منذ ثلاثة أيام.

بنت الباشا

جلس علاء النحلاوي في حديقة الفيلا بالعزبة يرنو ببصره إلي المساحة الشاسعة التي أمامه وقد ملأه الغرور والزهو بنفسه بأنه قد أصبح قاب قوسين أو ادني من امتلاكه لكل زمام العزبة بعد أن نجح في التخلص من زوج شقيقته والقضاء عليه وحمد الله بأن عملاءه قد اعترفوا بأنه لم يكن له ضلع في تلك الحادثة وتحملوا القضية كاملة رغم ما يتحمله من مصاريف لأسرهم نظير ذلك وقد طمأنه المحامي بأن وضعه بالقضية كشاهد لأن أتباعه اصطحبوا المجني عليه مصطفي ربيع و لم يعلم عنه شيئا بعد هذا.

مازال علاء سعيداً بما قام به خاصة أنه في آخر زيارة قام بها للاطمئنان علي شقيقته شيرين علي غير عادته نجح في إقناعها بأن تقوم بعمل توكيل رسمي عام لمحاميه مثله للتعامل مع أملاك الدولة وسداد بعض المتأخرات. ابتسم لهذا وأن شقيقته ابتلعت الطعم ورافقته لمكتب الشهر العقاري والتوثيق ووقعت هناك بأن المحامي فايز مرقص موكل منها بتوكيل رسمي عام لمراعاة شئونها وله الحق في التصرف في كل ما تمتلكه ويمثلها شخصيا.

عاد إلي زهوه وخيلاؤه بعد سماع خطة المحامي بأنه سيقوم بكتابة عقد بيع بينه وبين شقيقته وبالتالي يحصل علي كل

أملاك والده بدون شراكة من شقيقته وسوف تصبح المائتين وسبعين فدانا بما عليها ملكا خاصاً له وسيكتفي بأن يمنحها حق الإقامة بالعوامة ومبلغ مائتي جنيه مصاريف شهرية لها ولأبنها.

اتجه إلي سريره للنوم مبكراً علي غير عادته وشعر بالحنين لأبنائه رغم أنه يشاهدهم مرتين كل شهر بان يأتي بهما ضابط من الشرطة يعمل في خدمة جدهما اللواء حمدي السيد ويظلان معه ساعتين ثم يعيدهما ثانية إلي فيلا المعادي التي يحيون بها مع أمهما.

خلد في نومه سعيداً قرير العين وقد مضي علي موت زوج شقيقته ثلاثة أعوام وانتهي من هذا النسب السيئ. ظل يفكر بعد أن يحصل علي العزبة كاملة سوف يتزوج من صديقته اللعوب "فيفي" والتي أغوته بجمالها وفتنتها بعد ان رافق صديقها السابق وهي بصحبته واستطاع بما لديه من فتنة ومال أن يفرق بينهما وأن تصبح خليلته والتي طالبته بالعقد عليها ، طلب منها تأجيل ذلك حتي يصبح المالك الوحيد للعزبة وتأتي لتعيش معه وينعما بكل خيرها.. راح في نومه ولم يدر كم ظل نائما ولكنه هب من نومه مذعورا مضطرباً وطلب من خفيره "توفيق" بأن يأتي له فوراً بعم بيومي. تساءل الخفير عن من يكون عم بيومي فصرخ به منبها بأنه ناظر العزبة ثم تدارك بأنه قد فصله من عمله منذ ثلاثة أعوام غداة مشكلته مع المرحوم زوج شيرين. طالبه بالبحث عنه ، أفاده الخفير بأنه سوف

يتوجه إلي مترله بمدينة الفيوم وهو يعلم مكانه حيث رافقه قبل ذلك إلي هناك.

صباح اليوم التالي أقبل بيومي افندي متخوفاً بأن يكـــون علاء يفكر في إيذائه أو الضرر به ولكن لدهشته شاهد عـــلاء في استقباله منتظرا واقفاً وعلي وجهه ابتسامة طيبة مـــصافحاً طالبا منه الجلوس. جلس الرجل ومازال الخوف يعتريه وهنـــا خاطبه علاء قائلاً :

عم بيومي!! لا تغضب مني وكل إنسان له هفـــوة وكبـــوة ولكني طلبتك لغرضين لا ثالث لهما. الأول هو عودتـــك إلي وظيفتك براتب مضاعف عما كنت تحصل عليه. الثـــاني بـــأن تفسر لي رؤيا شاهدتها وجاء اسمك بها.. أمـــس بعـــد نـــومي شاهدت أبي رحمه الله عليه حزينا وقد أعطاني ظهره ولم يرغب في محادثتي وعندما اقتربت منه مقبلاً يده طالباً منه أن يحـــدثني أشار إلي بضيق قائلاً أين أحفادي منك ومن شـــيرين؟ لقـــد دمرت العائلة بتصرفاتك الحمقاء وأنا غير راض عنك. حزنت وكدت أبكي وعاودت تقبيل يديه وهو مازال علي حزنه وهنا أمرني بأن أرسل في طلبك وسؤالك عن مذكراته التي كتبـــها وتركها وديعة لديك لحين طلبها منك وعلي قراءتها لأعلم لماذا تصرفت هكذا..دمعت عيون بيومي العجوز وحـــدث عـــلاء قائلاً: اسمح لي بأن أناديك بابني. لقد تجاورت مع والـــدك في مدرسة الحقوق لأربعة أعوام كاملة وبعد التخرج افترقنا كـــل لعمله وحياته. كان والدك رقيق الحال مثلي فنحن أبناء الفقراء

فوالدي كاتب أمام المحكمة يكتب العرائض والشكاوي لمن لا يقرأ ولا يكتب وهم غالبية الشعب المصري أما جدك النحلاوي فكان متخصصاً في ما يخص نحل العسل سواء إنتاج سلالات أو فرز العسل من الخلايا وقد ذاع صيته بين الناس وتكالب عليه أصحاب خلايا النحل حيث كان ذكيا وخبيرا في مهنته والخلايا التي يقوم علي رعايتها تعطي عائداً كبيرا.

في أحد الأيام وأنا عائد من مكتبي المتواضع بحي السيدة زينب قابلني والدك وقد مضي علي فراقنا خمسة أعوام. تصافحنا وتبادلنا العناق وأخبرته بحالي وسوء دخلي من عملي وهو بالأحرى أخبرني بأنه لا يعمل بشهادته وكل ما يقوم بعمله هو مساعدة جدك في عمله وقد عاني مع جدك بالانتقال بين المزارع والحقول لنقل الخلايا والتي يجب أن توضع في حدائق حتي تمتص رحيق الأزهار وتنتج عسلاً صافيا رائقاً . جلسنا علي إحدي المقاهي نستعيد ذكريات الماضي حيث مضي عامين علي انتهاء ثورة ١٩١٩. افترقنا علي وعد بلقاء.

بعد خمسة أعوام جاء لزيارتي وهو علي أحسن حال متسائلاً عن أحوالي فأخبرته بأنني تزوجت منذ أربعة أعوام ولدي طفلان وحالة المكتب في تحسن حيث كان سعد زغلول رئيسا للوزراء. نظر إلي قائلا: بيومي أغلق مكتبك وتعال نعمل معاً فلقد رزقنا الله من عنده وأحتاج إليك وسوف أضاعف مرتبك وأمنحك سكنا كبيراً مجاناً .. إلى هنا سوف أصمت يا بني وسوف أعود باكرا لأسلمك ذكريات والدك. أستودعك الله.

غادر الرجل الفيلا عائداً إلي بيته بينما ظل علاء مستحيراً من جده ووالده الفقيرين وقد أصبح والده ميسور الحال وعضوا بمجلس النواب. كيف تم هذا وهل عثر علي كتر؟

اليوم التالي اقبل بيومي أفندي حاملا كراساً وناوله لعلاء طالباً منه الحفاظ عليه وبعد أن يطلع عليه يعطيه لشقيقته لتطلع عليه هي الأخرى حتي يكون هناك مساواة بينهما. شكره علاء بإيماءة من رأسه طالباً منه التوجه لتقلد مهام عمله.

جلس علاء في حجرة مكتبه يطالع مذكرات والده. قص والده كل ما سبق وأن أخبره به بيومي أفندي حتي وصل إلي ما لم يحدثه به بيومي حيث كتب:

رافقت أبي للعمل بعزبة صدقي باشا ناظر الري "وزيرالري" والذي رشح والدي لرعاية أسراب النحل لديه حيث كان ينافسه في هذا المجال رشيد باشا ناظر التجارة. في العزبة قمت مع والدي بكل شيء وقد حصلت علي ليسانس مدرسة الحقوق منذ شهرين وكنت طامعاً بأن أتقلد منصباً هاماً في النيابة أو القضاء ولكني أصبحت صبيا لوالدي أحمل معه الخلايا والصناديق الخشبية من بستان لآخر وكنت أنال الكثير من لدغات النحل.. مضي عامان علي عملنا وشعر الباشا بمتعة عالية لتفوقه علي المنافسة في تربية النحل والحصول علي عائد كبير منه مما دفع بمنافسه للاعتراف بأن صدقي باشا فاز عليه. شعرت بسعادة رغم حبي ولهفتي لرؤية أمي وإخوتي فأنا الأكبر

عمراً ولهذا تحملت مساعدة أبي لنرفع من مستوي معيشتنا المتدني.

أنجب صدقي باشا طفلة رائعة الجمال والحسن ، بمضي الأعوام نمت وأصبحت عروساً يافعة وعلمت أن أسمها "نازك" ولكني لم أشاهدها من قبل. في أحد الأيام وأثناء عملي سمعت صراخا فتركت ما معي وهرولت ناحية الصوت فإذ بي أشاهد فتاة جميلة غضة الإيهاب تعدو مسرعة وخلفها سرب من النحل. أسرعت الخطي وقبل أن تلحق بها أسراب النحل كنت قد خطفتها وقفزت بها إلي جوف مياه لمجري مياه الري بالعزبة.

عادت أسراب النحل مبتعدة حيث تخشي المياه ونظرت إلي الفتاة التي كانت متعلقة برقبتي حتي لا تغطس في الماء وتغرق. كان وجهنا قد التصق بدون عمد فالموقف هو الذي دفعنا إلي هذا. فجأة ابتسمت وضحكت وهي مازالت متعلقة برقبتي وطالبتني بإخراجها من الماء. أثناء حملها وخروجي بها من الماء تزحلقت قدماي وهبطنا سويا ونحن نتدحرج علي جسر الترعة حتي غطسنا في الماء بين ضحكاتنا وسعادتنا.. فجأة أقبل الباشا وبصحبته بعضا من معاونيه حينما نما إلي سمعهم بأن ابنته تعرضت لهجوم أسراب النحل. شاهدت والدها علي حصانه فأشارت إليه بسعادة وتعاونت معها للخروج من الماء وقد ابتلت أجسادنا وملابسنا. نظرت لوالدها وهي تخبره بأن هذا الشاب شجاع وفارس وغامر بحياته من أجل أن ينقذها ولولا ذلك لقتلتها أسراب النحل من كثرة اللدغات.

نظر إلي الباشا باشا سعيداً وهو يستوضح مني.

- أنت مين؟

- أنا يا سعادة الباشا أبقي عبدالغفار بن سيد الـنحلاوي.
ابتسم الباشا

- آه تبقي لك خبره في النحل وعلشان كده قدرت علـي النحل اللي كان عايز يلدغ "نازك" مش كده برضه؟

- أبداً يا ساعات الباشا. النحل تبعنا حلو ويطلع عسل ومش ممكن اللي يطلع العسل يضر العسل اللي زيه!! ابتسم الباشا وغادر المكان بصحبة ابنته ومعاونيه بينما أشـارت إلي نازك بعلامة بيدها أي مع السلامة وشكراً.

منذ هذا اليوم تعلق قلبي وعقلي بتلك الفتاة التي تبعد عـني مسافات شاسعة اجتماعيا وماديا. فأنا أحد العـاملين لـدي والدها ولا نملك سوي ما يدره النحل من عائد يحصل والـدي علي جزء منه يبيعه لتقتات منه عائلتي.. اليوم التالي أتت نـازك تحادثني وتعيد شكرها وامتنانها لي وبأنني شـجاع وجـسور وأشابه الشاطر حسن الذي أنقذ الأميرة ست الحسن. كانـت تحدثني وأنا في حالة من الانبهار والدهشة والـسعادة لرقتـها وجمالها. كان جمالها فاتناً لأقصي درجة فهي بيضاء وذات شعر أصفر وطويلة نسبيا وعيونها عسلية وتجيد ركوب الخيل ودائما ما تحدث العاملين وخاصة الفلاحـات وتعمـل علـي حـل مشاكلهن الكثيرة والمتعددة والتي تنحصر في المرض وفقرهن من كثرة الإنجاب.

تعددت اللقاءات وتحول الأمر إلي الإعجاب والحب الذي توقف أمام صخرة الوضع الاجتماعي للفارق الشاسع بيني وبينها. كانت نازك ذا رأي صائب.

في أحد الأيام بعد أن وصل كيل الحب منتهاه أمسكت برسغي كطفل صغير وتبعتها دون مقاومة وسارت بي حتي دخلنا القصر والذي كنت أخشي المرور قريباً منه. شاهدت والدها جالسا مع والدها خلف الزجاج الخارجي نظراً لبرودة الشتاء الزاحفة. نظر إلينا الزوجان وهي تحادثهما بكل عذوبة قائلة: أبي هذا هو الشاب الذي حدثتك عنه ولا أنوي الزواج من غيره. صمت الباشا وامتقع وجه أمها شكرية هانم ولكنهما تداركا الموقف وابتسما ثم ضحكا من تلك التمثيلية الكوميدية.

كان وجهي أحمراً قاني اللون يكاد ينصهر من شدة السخونة التي صاحبتني. لم تضحك "نازك" بل أعادت تأكيد حديثها. أشار إلي الأب بالجلوس فامتثلت لأمره ونظر إلي فاحصاً متسائلا :

- إيه رأيك في الحكاية دية؟ تنفع ولا تبقي مش معقولة؟

لم تدعني أجيب علي السؤال وأجابت والدها. أبي إن جدنا الأكبر محمد علي باشا كان ضابطاً عاديا في الفرقة الألبانية منذ مائة وعشرين عاما وقد أصبح حاكما علي مصر. لا يجب أن نقيس البشر بالأموال لأن هذا سيضر بنا وإلا أصبحت أسرة الجد محمد علي لا تساوي شيئا حيث كان فقيراً مدقعا ولا

يملك سوي راتبه الذي يحصل عليه من الخليفـــة بالآســـتانة ثم بعدها من والي مصر.

طلب والديها بأن نتركهما تلك الليلة وأن نجلس بحديقـــة القصر نتحدث سويا. كان موقفي حرجاً للغاية. فأنا راغـــبٌ في نازك لكن كما سبق ونوهت أنني لا أملك من الإمكانيات والصفات التي تساعدني لتحقيق حلمي هذا فهو حلم صـــعب وبعيد المنال.. حينما غادرنا القصر للخارج لفحتنـــا بـــرودة الشتاء القارص فخفضت قليلاً من سخونة وجهـــي الملتـــهب وأفضيت لها بأنني لن أنال رضا والـــديها لأنـــني لا أمتلـــك المقومات لذلك ولكنها ربتت علي خدي قائلة: بل تملك أيهـــا الشاب. تملك حبك لي وحبي لك وهذا هـــو المهـــم والأهـــم ووالداي يراقبانا الآن ليعلما هل نحن في حالة حب تساعد علي نجاح الزواج من عدمه؟.. بعد قليل خـــرج الباشـــا بـــصحبة زوجته باسما وهو يخبرنا بأنه وافق علي زواجنا مما دفع نازك إلي الصراخ والقفز علي والدها حتي كاد الرجل أن يسقط أرضـــاً لولا تدخلي لمساعدته. مضت الأيام سريعة جميلـــة وتزوجنـــا وأنجبت في العام الأول ابني علاء الذي أتمني أن يُصبح نموذجـــاً للحب والإخلاص والعمل والعصامية كأجداده وبعدها بأربعة أعوام أنجبنا الغالية شيرين والتي حصلت علي حُـــسن خـــصال جدتها شكرية هانم.

مضت الأيام وأسرع شهاب والديها بالهرب مـــن الـــدنيا للآخرة وتبعها والدي ثم والدتي والآن أشاهد كلاً من عـــلاء

وشيرين وهما يخطوان إلي مرحلة الشباب اليافع سعيداً بهما راجيا من الله أن يغلفهما بالحب والمودة والرحمة مثلما كانت تفعل أمهما الراحلة حبيبة قلبي "نازك". وهكذا انتقلت ملكية العزبة من صدقي باشا إلي ابنته نازك ورغبت هي في إطلاق اسم النحلاوي عليها ليساير لقب عائلة أبنائها "علاء وشيرين". وصيتي الأخيرة بأن يتحابا أبنائي علاء وشيرين وأوصي علاء بصغيرته شيرين فهي نوارة حياتي مثلما كانت رحيق الحياة لأمها "نازك".

******

جلس علاء هامداً بعد أن قرأ مذكرات والده وقلب صفحاتها ، يراجع نفسه محاورا: في مساء أمس أشاهده في المنام غاضباً ، أفكر: ما حكمة أن أراه في المنام ويخبرني والدي بما كتبته من مذكرات تخص حياته الشخصية. ظل هامداً من تأثير ما قرأ وشاهد ثم لملم أوراق نفسه المبعثرة وقال هاتفاً إنها رسالة لي من العالم الآخر بأن والدي كان مثل المرحوم مصطفي زوج شقيقتي فقيراً معدما وقد وافق جدي صدقي باشا علي زواجه من ابنته و لم يطرده من رحمته خارج العزبة مثلما فعلت مع أسرة شقيقتي. لقد كنت جاهلاً أعمي البصر والبصيرة ويجب علي إصلاح ما أفسده شيطان عقلي الخرب.

قرر بأنه في صباح اليوم التالي سوف يحمل مذكرات والده إلي شقيقته ويتركها لتقرأها مقدما اعتذاره لها. في المساء سوف أتوجه لمكتب المحامي خرب الذمة وامنعه من نقل ملكية شيرين

إلي بل سوف أتوجه لزيارة اللواء حمدي مقدماً اعتـــذاري لـــه ولابنته صافيناز وأعمل علي جمع شمل أسرتي والتي تفككت منذ ثلاثة أعوام. نام قرير العين بأن أرشده الله إلي الطريق القـــويم ودعاه أن يوفقه فيما انتواه من خير.

لقاء الدمـــوع

علي شاطئ نهر النيل الشرقي جلس جابر وزوجتـــه مـــع ضيوف مصر يتباحثون في عرض خالد نجل الـــشهيد عـــزت سليم، اتفقوا بعد نقاش علي أن عائلة " مُـــسعد" تتوجـــه إلي عزبة سليم ويعملوا معهم بينما تظل عائلة " سَلمان" باقية مـــع جابر بعد استهواهم صيد الأسماك خاصة أن البعض منهم كان يعمل فترة الصيف علي ساحل البحر الأبيض في مدينة غزة في صيد الأسماك من مياه البحر الأبيض.. توجه جابر إلي الطبيـــب شوقي النجار بالعوامة وأخبره بأنه علي أتم الاستعداد لإجـــراء العملية الجراحية التي وعده بها. أسعد هذا الطبيب والذي حدد له موعداً للقائه بالمستشفي. يوم إجراء العملية توجه جـــابر إلي المستشفي يصحبه أحد الشباب الفلسطينيين وهناك أجروا لـــه أشعة اكس وتبين بأن المفصل قد التئم بوضع غير سليم وهذا ما أدي إلي سيره بتلك الطريقة المرهقة والمؤلمة.. طمأنه الطبيـــب وأعطاه موعداً بعد ثلاثة أيـــام. في الموعـــد عـــاد جـــابر إلي المستشفي وهناك أجريت له عملية مضاعفة. الأولي فك اللحام السابق وكانت عملية مرهقة للقائمين بها وقد حقـــن جـــابر بمخدر كلي ، العملية الأخري أجريت لاستعدال وضع القـــدم بوضعه السليم ووضع بالجبس. استمرت العملية خمس ساعات، بعد ثلاثة أيام كتب له خروج والعودة بعد أربعة أسابيع لفـــك الجبس. عاد جابر بجبيرة وظل جالساً علي شاطئ النيل موجها

ومرشداً لشباب الصيادين الفلسطينيين والذين بذلوا من الجهد الكثير عوضاً عن جهد جابر الذي ثبت لهم بأنه ريس للصيادين بكل جدارة.. كانت "روايح" حزينة لحال زوجها القابع أسفل شجرة وهو يرنو إلي مياه النهر بكل شوق وحنين فقد أمضي أكثر من عامين يجوب شواطئه صيداً وبيعاً ، رغبت في مواصلة مهمة البيع ولهذا كانت تصطحب بعض النساء من الضيوف وتجوب هم منطقة عوامات الجيزة والتي أصبحت تبتاع أسماكها من جابر وزوجته.

في إحدي المرات طلبت هيجة الخادمة لدي شيرين من "روايح" أن تتوجه إلي العوامة حيث ترغب سيدها في شراء البعض منه. توجهت روايح سعيدة فرحة وأثناء عملية البيع ومعاينة الأسماك سألتها شيرين عن سبب تغيب زوجها ، أفادها روايح بأن زوجها مريض حيث أجريت له عملية جراحية في الأسبوع الماضي وهو مازال طريح الفراش.. جلست شيرين في حجرها اتقاء برودة الشتاء القارص من شهر يناير وقد كانت المملكة المصرية تغمرها الأفراح والسعادة لإنجاب الملك فاروق والملكة ناريمان وليا للعرش وبهذه المناسبة أنعم الملك علي الكثيرين برتبة البيه والباشا وأعفي عن بعض المحكوم عليهم بالسجن من استكمال عقوبتهم وساد مصر شعور عام من التفاؤل والبهجة.

*****

في أحد الأيام سمعت شيرين صوت شقيقها علاء بالعوامة وتوترت لهذا فهي غير راغبة في لقائه ، تحاملت علي نفسها للقاءه فلا يجب عليها إعلام الخدم بتلك المشاكل. استقبلته بفتور بينما استقبلها شقيقها استقبال الأخ الحنون المُحب فاقترب منها محتضنا مقبلاً وجنتيها وربت علي كتفيها متسائلاً عن أحوالها ثم ناولها مذكرات والدها والتي ما أن فتحت الكراسة حتي قبلت الأوراق التي كتب عليه والدها بخط يده ، سقطت الدموع التلقائية وهي تنظر إلي شقيقها الواقف أمامها محاولا إرضائها بابتسامة فاترة فقلب حياتها حزنا وألما ، فقد عاودتها ذكري الأب الحامي المدافع عنها وعن زوجها وهذا الشقيق الذي قلب حياتها عذابا وتسبب في فقد زوجها ، نظرت لتلك الصفحات نظرة حانية تملئها الأشجان وذكريات الأب ، أعادت تقبيل الأوراق فهي من رائحة الأب الحبيب.

تركها بعد أن طيب من خاطرها وأثناء وداعه لها انحني مقبلاً يدها وقد توترت شيرين غير مُصدقة بأن شقيقها الأهوج أصبح رحيماً وذا قلب أبيض يشعر بالآم الآخرين. غادرها علاء متجها إلي مكتب المحامي ليطلب منه بألا يقوم بأي تلاعب في التركة حيث قرر أن يسلم شقيقته كل تركتها.

غادر علاء مكتب المحامي بعد أن أخبره برغبته التي أتي من أجلها ، ابتسم الرجل ابتسامة إبليس حيث قام بكتابة عقد بيع عزبة النحلاوي من كلٍ من شيرين وعلاء عبدالغفار النحلاوي إلي فايز مرقص نظير ثمن إجمالي وقدره مائتي وسبعين ألف جنيه

مصري أي بواقع ألف جنيه للفدان وأن البائعين تسلموا منـــه المبلغ عداً ونقداً وقام بوضع أرقام التوكيلين علي عقد البيـــع وعقد العزم علي التوجه صباح الغد إلي مكتب التوثيق لكـــي ينقل ملكية الأرض إليه ويستولي عليها متحايلا علي القـــانون حانثا بقسم شرف المهنة.

بعد أن تقابل المشتري بالنصب والاحتيال وخيانة الأمانة مع موظف الشهر العقاري راوغه الأخير طالبا منه بأن يعوده بالغد لأنه مشغولٌ في هذا اليوم ويجب عليه أن يكون صافي الـــذهن لنقل تلك المساحة الكبيرة إليه ثم اقترب من أذنه طالبا منـــه أن يهديه ببدله شتوي يتقي بها برودة الطقس. وافقه المحامي مشيراً إليه بأنه قد حصل منه نظير إنهاء تلك الإجراءات علـــي مبلـــغ عشرة ألاف جنيه. وعده باكراً بأن يأتي له بالأوراق والبدلـــه بعد أن اخبره الموظف برقم المقاس.. في مساء هذا اليوم توجـــه المحامي لمحل شيكوريل والذي يعلم عنه بأنه من أحسن وأكـــبر المحلات لبيع الأزياء الراقية . ابتاع البدلة بالإضافة إلي الكرافتة والقميص وأثناء ذلك كان يدعو علي الموظف بألا يعطيـــه الله العمر لارتدائها من كثرة جشعه.

بعد أن دفع ثمن ما اشتراه وهم باستلام البدلة سمع صـــياحاً وصراخاً ازداد قوة وأعقبها ظهـــور أدخنـــة ازدادت كثافـــة وأسرع الزبائن بالهرب من شيكوريل بينمـــا حـــاول المحـــامي استلام البدلة والتي تركها الساعي خوفا علي حياته ولم ينقلها إلي مكان تسليم المشتريات مما دفع بالمحامي إلي الصعود لقـــسم

البدل لمحاولة الحصول عليها حتي ينهي صفقته غـــدا . كـــان صاعداً بينما الناس يهبطون وعرقلوا صـــعوده وازداد الأمـــر صعوبة بعد استنشاقه للدخان مما جعله يسقط أرضـــا محـــاولاً التنفس ولكن النيران كانت أسرع منه وأتت عليه دون رحمـــة فأحرقته مع أوراق التدليس التي كانت بحوزته و لم تتركـــه إلا رماداً .

لقد استجاب الله لدعوته بألا يقوم موظف الشهر العقـــاري بارتداء البدلة وهكذا كان الخالق رحيما بكلٍ من شيرين وعلاء وأنقذهم من هذا النصاب الذي لقي حتفه مع أوراقه.

أصاب الناس في مصر صدمة قوية من حريق عاصمة المعـــز مدينة القاهرة في السادس والعشرين من ينـــاير عـــام ١٩٥٢ وأصاب الجميع التوتر خوفاً من أن تمتد يد التخريب إلي باقي أرجاء الوطن فالملك مشغولٌ بابنه والاحتلال مازال جاثما علي أرض الوطن.

*****

غادر جابر المستشفي بعد أن خلع عنه الطبيب الجبس الذي أحاط بقدمه وشعر الطبيب وهو يختبر مرونة قدمه بأنه أصـــبح أحسن حالا ولهذا طالبه بألا يحمل علي قدميه مجهوداً شـــاقا حتي تزداد عظام الساق قوة وتماسكاً كمـــا طالبـــه بالـــسير مسافات قصيرة يوميا تزداد تباعا حتي يشفي تماما. وجه جـــابر الشكر والتحية إلي الطبيب الذي ابتسم له سعيداً وهو يخـــبره

بأنه أسعد حالاً منه لأنه استطاع بفضل الله أن يخفف عنه آلامه.

هلل ضيوف جابر حينما شاهدوه قادما يسير بدون أن يزك كسابق عهدهم به وجلسوا سعداء يطربون ويحتفلون به ووزعت الحلوى وأقيمت مأدبة طعام عامرة حضرها إخوة روايح وكانت أساطيل قوارب الصيد تملأ الشاطئ وأقبلت عليهم روايح مزهوة بنفسها وزوجها والتي استطاعت بسحرها وفتنتها بأن تأسر قلبه بداخل شباكها وتجمع كل جوارحه بيدها حتي استولت عليه وأصبح هو الزوج والحبيب وأب ابنتها سعاد.

نهاية شهر مارس من نفس العام أصبح جابر يسير كسابق عهده بالإصابة واصبحت حركته أنشط عن الماضي مما دفعه إلي الثقة بنفسه أكثر وطوال الفترة السابقة التي شاهد فيها شيرين وابنه عمرو وهو دائم التفكير فيهما وفي نفس الوقت شعر بأنه سيواجه موقفاً شائكاً إذا رغب في عودة صلة الحب والود مع زوجته الأولي لقيامه بالزواج من أخري وهي التي تعشقه وتحبه وقاطعت شقيقها من أجله ثم يكافئها بأن يأتي لها بضرة لا تساويها قدراً ولا حسباً ولا نسباً .. شعر بتوتر غلف سعادته وجثم علي صدره الهدوء والسكينة وصمت القبور في ليل شتاء بارد. طرد كل هذا وقرر ان يبدأ بالخطوة الأولي ولكن كيف هذا وقد علمت زوجته بوفاته وترحمت عليه أمامه. حصل علي مبلغ من المال من إيراد بيع أسماكه وتوجه لأحد محلات الأزياء

وأشتري بدلة أنيقة والقميص والكرافت وحذاء أجلسيه اسمر وزجاجة كولونيا رجالي من النوع الذي كان يستخدمه كما اشتري زجاجة برفان من النوع التي كانت تعشقه شيرين وقرر أن يتوجه إليها في إحدي الأمسيات وقد أقبل فصل الربيع وسوف يجالسها ويداعبها ويعيد ما أنقطع بينهما طوال تلك الفترة الزمنية التي تعدت السنوات الأربع.

بكل أناقة غادر معسكرهم الطبيعي علي شاطئ النهر بين صيحات التقدير والإعجاب وخاصة النساء اللائي شعرن بوسامة هذا الصياد وأنه يجيد اختيار ملابسه مثل الفنان الشهير أنور وجدي ومطرب الملوك محمد عبدالوهاب. أبحر بقاربه منفرداً متجهاً إلي العوامة وكان الشوق يدفعه إلي زيادة التجديف راغباً في الوصول إلي حبيبته الأولي وأم ابنه وراغباً في كشف حقيقة نفسه بعد أن تصالح مع بدنه بعلاج الإصابة وتصالح مع نفسه بالعودة إليها مقاوماً شقيقها علاء مهما كلفه هذا خاصة أنه أصبح ذا قوة سواء من عشيرة زوجته روايح أو من أبناء فلسطين الذين يكنون له كل الحب والتقدير.

وصل القارب إلي العوامة وربط الحبل بها ثم غادره متسلقاً العوامة كالفهد وصعد سلمها ودق علي بابها الداخلي فأتت الخادمة هيجة وفتحت الباب ونظرت إليه وزادت حدقة عيناها اتساعا وبروزا وصرخت وسقطت أرضا مغشيا عليها مما دفعه للهرب بعد أن تنامي إلي سمعه صوت زوجها راغب الخفير الذي صاح مناديا "حرامي". أسرع جابراً يجدف بأقصى

سرعة قبل أن يلحق به القوم واستطاع بصعوبة أن يفلت من قبضتهم مقتربا من العائمات المجاورة حتى ابتعد عن أنظار الذين أسرعوا لنجدة صاحبة الصرخة.

وصل جابر إلي موقع عشيرته علي ضفاف النيل لاهثا مضطربا لما سمعه وكاد أن يلقاه الأذي والضرر وكل هذا كان بعيداً عن فكره وخاطره حيث كانت مشاعر الحب دافعة له واعتقد عكس ما جري. استقبلته روايح وأصدقاءه وشعروا بأنه قابل موقفاً سيئا لحالة التوتر والعرق الغزير الذي بلل قميصه وغطي وجهه بلمعة واضحة.. عادت شيرين من زيارة لصديقتها "صافيناز" الزوجة السابقة لشقيقها وابنة اللواء حمدي والذي أظهر غضبته علي زوج ابنته لما قام به مع زوجها الراحل مصطفي وهو الذي كان دافعا للنحلاوي ومؤيداً لهذا الزواج والذي حين يلقاه يشد علي يديه سعيداً بهذا الشاب المكافح المخلص في عمله مشيدا بما يقوم به من جَد وابتكار.. أقبلت شيرين علي العوامة فسمعت لغطاً وضوضاء وخامرها اضطراب وقابلتها الدادة أم حافظ وأخبرتها: "بأن البت بهيجة مخها تلف ولف وبتشوف حاجات عمرها ما تحصل". توجهت شيرين إلي خادمتها المخلصة والتي عاصرت بداية قصة حبها وزواجها من مصطفي وشاهدت كل ما أعقبها من أحداث.

بمجرد أن شاهدت بهيجة شيرين حتي صرخت طالبة منها الحماية من العفريت الذي أتي هذا المساء للعوامة. سألتها بتردد صاحبتها حالة من الارتباك عما شاهدته ولكن زوجها راغب

أخبرها بأنه سمع صراخ زوجته فصعد من أسفل لأعلي فشاهدها مغميًا عليها أرضا وساعدته أم حافظ واستطاعا إفاقتها وهي تردد "عفريت الباشمهندز مصطفي".

وقفت شيرين وقد تخضب وجهها الجميل بلون أحمر قان وصاحبها التوتر أيضا وتذكرت بأنها سبق وأن زارت قبره في بلدته قريباً من مدينة أبو كبير بمديرية الشرقية وتقابلت مع أشقاءه. لقد مات مصطفي وأثبتت الحكومة ذلك ودفن بمدافن الأسرة وأشقاءه يعلمون هذا. هل يعقل أن يكون شبيها به؟ هل هو شبح لهذا المتوفى غرقاً. أعتقد أن بهيجة من شدة حبها لي ولمصطفي أن شاهدت رجلاً قريب الشبه بالراحل واعتقدت بأنه هو. تذكرت حين شاهدت الصياد الذي يزك علي قدمه اعتقدت بأنه شقيق زوجها مصطفي.

ربتت علي خدها مطمئنة لها بأن كل هذا نوعا من الوهم والاضطراب. بعد قليل جاء راغب ممسكا بعلبة جميلة صغيرة الحجم ومربوطة برباط أحمر حرير وسلمها لسيدته وأخبرها بأنه شاهد هذا الصندوق الصغير بجوار زوجته أرضا أثناء حالة الإغماء. أمسكت شيرين بالعلبة وقرأت ما عليها من الخارج ودق قلبها ضربات سريعة وفتحتها ووضعت قليلا منه علي خديها وسرحت في فضاء لا نهائي وقد اعتقدت بأن مصطفي نائم بجوارها يداعبها ويقبلها وراحت في نشوة وسكرة ثم استفاقت وتنبهت بأن ما شاهدته بهيجة هو شيء واقعي لكن كيف؟

جافاها النوم وسهرها وعقلها أصبح مثل بيضة فاسدة ترتج دون فكر ورأي. في الصباح وقفت تراقب مراكب الصيادين كعادتها وتشاهد صفحة النيل اللامعة علي ضياء شمس شهر ابريل. شاهدت قوارب السباق الرياضية التابعة لبعض الأندية والشباب علي متنها يحاولون التسابق بين كل قارب وآخر ولكنها لم تشاهد قارب روايح وهي مازالت تنتظره لعلها تقدم يد المساعدة في فك طلاسم هذا الشبح الذي هاجم خادمتها بالمشاهدة المباشرة وهاجمها بعطرها المميز والتي تعشقه.

******

ظل جابر قابعا علي الشاطيء وترك الآخرين يقومون بالعمل ومازال التوتر مسيطرا عليه وراجع أفكاره.. هل أخطئ أو لم يخطئ. اكتشف بأنه أخطأ خطأً فادحاً بأن تشاهده الخادمة علي هذا الوضع وهي تعلم أنه لاقي ربه منذ أربعة أعوام. يجب عليه تدارك هذا الأمر فيما بعد فقد يصيب حبيبته صدمة عصبية ولابد أن يمهد للقائه بها وألا يهاجمها مباشرة. قطع خلوته بائع جرائد أتي ليحصل علي بعض الأسماك الطازجة. شاهد العديد من الصحف المصرية معه فطلب منه نسخة من جريدة المصري والتي كانت تميز صفحتها الأولي صورة علم المملكة المصرية الأخضر ومزين بهلال وثلاثة نجوم باللون الأبيض.

رفض البائع الحصول علي خمسة مليمات ثمن النسخة وأخبره بأن النسخة التي بحوزته من النوع التالف الذي لا

يحاسب عليه ماديا. شاهد الجريدة وأسعده أن يحصل على بعض المعلومات والأخبار التي لا يعلم بها إلا بعد فترة من حدوثها بعد تناقل الناس بتلك الأخبار فلا توجد أجهزة راديو تبث برامج الإذاعة ولا صحف في عزبة الصيادين.

بمجرد أن فتح صفحة الحوادث حتي شاهد وقرأ حكما صادراً علي ثلاثة من الأشقياء بالقتل العمد وسبق الإصرار والترصد ضد المجني عليه مصطفي ربيع في صيف عام ١٩٤٨ والحكم الصادر من محكمة الاستئناف هو الإعدام شنقاً للرجال الثلاثة وذكرت أسماءهم.. قذف بالصحيفة جانباً وهاجمه شعور بأنه شريك في إعدام هؤلاء الرجال الثلاثة فهو مازال حياً يرزق. تساءل ماذا هو فاعلٌ؟ قرر بأن عليه محاولة إيقاف إعدام هؤلاء الرجال وعليه اللحاق بهم رغم أنه قرأ بأنهم رفعوا بالقضية إلي محكمة النقض ولكن قد ينظر النقض أو يرفض وسوف يعدمون ظُلما.. اليوم التالي ارتدي ملابسه الأنيقة واتجه إلي الطريق العام القادم من جهة المعادي واستقل أتوبيسا حتي وصل إلي وسط القاهرة وهناك اتجه إلي مكتب النائب العام. رفض مدير مكتبة أن يسمح له بلقائه فهو مشغول ولكنه أشار إلي ما كُتب بالجريدة وأضاف بأنه المجني عليه مصطفي ربيع ولم يغرق أو يقتل وهو حي يرزق.

نظر إليه الموظف بكثير من الريبة والشك منبها ومحذراً بأن ما تقوله لو ثبت عدم صدقه سيحولك النائب العام إلي المحاكمة العاجلة. أجابه مصطفي بأنه مستعد لأي شيء ولينقذ أرواحاً

بريئة من جناية قتله رغم أنهم آذوه وكادوا أن يقتلوه. اختفي مدير مكتب النائب العام قليلاً ثم عاد وأشار إليه بأن يتبعه. شاهد مصطفي نفسه واقفا بغرفة فسيحة معدة بطريقة جميلة وبها مكتب كبير يجلس عليه رجلٌ وقور فحياه مصطفي ورد الرجل بالتحية وأشار إليه بالجلوس.

جلس مصطفي وعرض قضيته منذ تعاركه مع شقيق زوجته وتدخل هؤلاء المجرمين وأوسعوه ضربا ثم حملوه وقذفوا به في النيل لولا العناية الإلهية لغرق وأكمل سرد باقي قصته. سأله النائب العام وما يدريني بأنك مصطفي ربيع؟ هل معك شيء يثبت ذلك؟

(لم تكن البطاقات الشخصية قد ظهرت للوجود بعد) قال: ليس معي ما يثبت بأنني مصطفي ربيع لكن كل من شاهدني قبل الحادث سوف يتعرف علي. تساءل: أذكر لي بعض الأسماء. ذكر له اسم عم بيومي ناظر العزبة واسم زوجته شيرين واللواء حمدي السيد. دهش الرجل متسائلاً: هل أنت علي علاقة باللواء حمدي السيد مدير مصلحة الأمن العام؟ أجابه بتأييد ما يثبت ذلك وأخبره بقصة نسبه مع علاء شقيق زوجته شيرين.. رفع الرجل سماعة التليفون طالباً اللواء حمدي السيد وتحادث الرجلان لوقت قصير. انتهي الحديث ونظر النائب العام إلي مصطفي قائلاً: عشرة دقائق وسوف يحضر الرجل ونعلم الحقيقة. طلب من مدير مكتبه بأن يصطحب معه المدعو مصطفي ويعين عليه حراسه لحين حضور اللواء حمدي

علي ألا يشاهده اللواء حمدي قبل لقائي به ويدخل من الباب المخصص لي مباشرة. ترك مدير مكتب النائب العام تعليمات بذلك للحرس علي الباب. جلس مصطفي بداخل غرفة المكتب وخصصت حراسة مشددة علي بابها خوفاً من هربه لحين حضور اللواء حمدي.

أقبل اللواء حمدي سعيداً بدعوة النائب العام له باحتساء فنجانا من القهوة معا وقد ألح الرجل وأن الغرض من وراء هذا هو العمل وقد أضحك هذا النائب العام وبعد أن انتهيا من شرب القهوة سأله الرجل:

- تعرف المهندس مصطفي ربيع واللي صدر حكم أول أمس فى حق الجناة.

استعاد اللواء حمدي رباط جأشه بعد جزعه من تذكر سيرة الفقيد حيث أخبره بأنه يعتبر مصطفي ربيع مثل ابنه محمد وهو شاب متدين ويجيد عمله وقد صاهر النحلاوي باشا كما أن علاء ابن النحلاوي كان زوجا لابنتي صافيناز.

- تصور من ساعة أتي إلي شاب في الخامسة والثلاثين يدعي بأنه المهندس مصطفي ربيع مطالباً بالإفراجٍ عن القتلة والذي حكم عليهم أول أمس. ضحك اللواء قائلا :

- ده من ألاعيب المجرمين يعتوا واحد يمثل الحكاية دية علي النيابة وطبعا ما فيش حد معاه جواز سفر أو كرنيه نقابه علشان تعرفوا شخصيته.

- صحيح. لكنه قال أنه يعرفك وأنت تعرفه.

-عايز أشوف النصاب ده. ضغط النائب العام علي جرس إنذار مدير مكتبه والذي اقبل فأمره بإحضار الشاب المدعي. بعد قليل أقبل مصطفي علي المكتب وبمجرد أن تقابلت عيون الرجلين حتي أقبل مصطفي علي اللواء حمدي يحتضنه مقبلاً يده كعادته يحدثه باسماً :

- الشراقوة يحبوا البحاروة.

جلس اللواء حمدي صامتاً وقد ظهرت الدموع بعينيه ثم أعاد النظر إلي مصطفي قائلاً . أنت مصطفي ربيع شكلاً واسماً ولكن الجملة التي أخبرتني بها هي التي أكدت لي أنك مصطفي بكل تأكيد ثم نظر إلي النائب العام مؤكداً بأن هذا الشاب هو مصطفي ربيع والذي اهم الأشقياء الثلاثة بقتله.

شكره النائب العام ورغب اللواء حمدي في اصطحاب مصطفي معه ولكن النائب العام أخبره بأنه سيظل متواجداً مع بعض معاونيه لأخذ أقواله وإعادة فتح ملف القضية من جديد.

قبل مغادرة المكتب أخبر اللواء حمدي مصطفي ربيعاً بأنه سوف يخصص سيارة بضابط تقله إلي مترله ليتناولا الطعام سوياً وسماع قصته.

أنهي المحققون الذين عينهم النائب العام التحقيقات مع مصطفي ربيع وأرسلت الأوراق إلي اللواء حمدي السيد والذي وقع بأن هذا الشاب هو مصطفي ربيع والذي اهم الأشقياء

الثلاثة "ذكرت أسمائهم" بقتله وأنه مازال حيا يرزق. أصدر النائب العام قراراً بإعادة التحقيق في القضية لظهور أدلة جديدة سوف تغير من قرار المحكمة وهكذا خرجت صحف اليوم التالي تتحدث عن وقف تنفيذ حكم الإعدام بحق المجرمين وإعادة الأحكام نظراً لظهور أدلة قد تغير من قرار المحكمة و لم يذكر شيئا عن شخصية مصطفي حرصاً علي مصلحة التحقيق.. في شقة رائعة علي النيل بحي الزمالك وصلت سيارة الشرطة تقل مصطفي ربيع واستقبله اللواء حمدي وزوجته ثم حضرت ابنته صافيناز بناء علي طلب والدها وبمجرد أن دخلت قاعة الاستقبال صرخت ووضعت يدها علي فمها وهي تهذي مصطفي وإلا شبيه؟ وهنا حادثها مصطفي. انا مصطفي يا صافيناز!! جلست بعد ان صافحته وهي عاتبة علي صديقتها شيرين بأنها لم تخبرها رغم أنهن كنا سويا مساء أول أمس. أخبرها مصطفي بأنه قام بزيارة العوامة وذكر ما حدث له مما أضحك الأسرة من تصرفه.. طلب منهم مصطفي بألا يخبروا زوجته وسوف يمهد لهذا وليجعلها مفاجأة سارة ، أشار إليه اللواء حمدي بأنها سوف تصبح مناسبة سارة لأن علاء أرسل إلي بالعديد من الشخصيات لمحاولة إعادة صافيناز إلي عصمته ولكنني كنت أقول لهم إذا استطاع أن يعيد مصطفي إلي الحياة فسوف أوافق وقد أعادك الله إلي الحياة وإلينا ولهذا سوف أوافق علي ان تعود صافيناز إلي زوجها مع أطفالها بعد أن صلح حاله.

دهش مصطفي ولم يكن يعلم بحادث الانفصال وحينما علم السبب خرجت دموع التقدير للحب والإخلاص النابع من حسن التربية للزوجة صافيناز والتي عاقبت زوجها علي سوء فعله معه بأن انفصلت عنه. أمضي مصطفي سهرة سعيدة وخلالها تناولوا الطعام وفي نهاية السهرة أقلته سيارة الشرطة عائدة به إلي موقعه حيث طلب اللواء حمدي من الضابط المرافق له ذلك ليعلم عنوان إقامته.

عاد جابر أسعد حالاً فقد ساهم في إنقاذ ثلاث رقاب من حبل المشنقة كما شاهد اللواء حمدي السيد الذي يذكره دائما بالمغفور له والد شيرين نظراً لصداقتهما وحبهما له منذ ارتباطه بشيرين.. أقبل علي أحباءه وشاهدوا الفرحة علي وجهه وسمعوا قلبه ضاحكا لعمل الخير الذي قام به في هذا اليوم.. بعد مضي يومين علي إيقاف تنفيذ حكم الإعدام وإعادة المحاكمة شاهد مصطفي ورفاقه مجموعة من الرجال والنسوة قادمين إلي موقع معيشتهم علي ضفة النهر وهم يتساءلون عن البيه مصطفي وقد أفادوهم بأن هذا الأسم غير موجود كما ان المكان ليس به أحد بهذا الاسم ولكن روايح التي كانت متواجدة وسمعت بالحديث أشارت لهم بإتباعها وهي ستقوم برد كل الاستفسارات التي أتي بها هؤلاء القوم.

علمت منهم بأنهم قدموا لتقديم الشكر للمهندس مصطفي لما قام به في إنقاذ أرواح ذويهم من حبل المشنقة والتي لم تكن تعلم عنه شيئا. اصطحبتهم إلي موقع جلوس مصطفي الذي

كان في حالة من التأمل مركزا نظره علي مياه النهر وقد سرح خياله في خيوطه الفضية اللانهائية ، أشارت إليهم بأنه المقصود، وقفت تراقبهم وقد اندفعوا إليه مقبلين يديه ومحتضنين لما قام به من عمل كريم مع رجالهم رغم قسوتهم عليه.

جلس معهم محييا شاكرا إنسانيتهم وقدموا له كل تحية وتقدير وبعد جلسة طويلة زمنا وقصيرة في متعتها غادروا المكان بين بكاء السيدات لسعادتهن بأن أطفالهن لن يصبحوا أيتاما وسوف يفرج عن المتهمين بعد عدة أشهر فقد قاربت مدة الحكم التي سوف يحكم بها عليهم حيث أخبرهم المحامون بهذا وأنها أصبحت جنحة ضرب وليس جناية قتل وحكمها لا يتعدي السنوات الثلاث وقد قاربت المدة علي الانقضاء.

بعد أن غادر القوم المكان جلس مصطفي سعيداً بأن الله وفقه فيما قام وأن الله سوف يجازيه بأحسن مما قام به اليوم التالي مساءً كرر جابر المحاولة لزيارة شيرين وتسلل بهدوء إلي العوامة بعد أن خلد الجميع إلي نومهم. طرق باب حجرتها حيث كانت مستيقظة تطالع رواية الأيام للأديب الدكتور طه حسين. سمعت الطرق مرة ثانية فاعتقدت بأن الطارق هي الخادمة بهيجة فصرحت لها بالدخول ، بعد ثوان قليلة سمعت صوت مصطفي يغني لها أغنية مريت علي بيت الحبايب. كادت أن تصرخ ولكنه أسرع إليها وشاهدته فرقص قلبها فمنع صوت استغاثتها من الخروج وانحني علي سريرها وحملها علي ذراعيه وقبلها وراحت في إغماءة فجلس علي طرف السرير

وهي مازالت محمولة علي ذراعية. همس في أذنها مذكرا إياهـا بأول لقاء يوم الحر الشديد وحصانها عطشان راغـب بالمـاء. حرك بأصبع يده شفاهها الرقيقة فأضاءت عيونها بنظرة ساحرة نحوه وانفرجت شفتيها باسمة وظهر صفي اللولي مـن أسـنانها الجميلة. انحني مقبلاً .

في البداية لم تبادله قبلاته فتركته يقبلها وهي تمـسك بـه متشبثة خوفا من ضياعه وفقده. شاهدت عينيه مسلطتين علي عيونها. مدت أصابعها وجذبته إليها فعاد مقبلا وبادلته قبلاتـه بأكثر سخونة وحيوية.

بعد قليل شعرت بأن جسدها ذاب في جسده كأنها قطعـة من السكر وضعت في الماء وبعد قليل امتزجا سويا ولا تستطيع أن تفصل واحداً عن الآخر. نهض ووضعها علـي سـريرها وأشارت إليه بغلق باب الحجرة. فعل ونفذ ما طلبتـه منـه ، أطفأت الإضاءة وظهر نور ضياء حبهما وهما يتبـادلا الحـب وعلاقتهما الزوجية بعد حرمان أربعة أعوام.. استيقظت قبيـل الفجر فشاهدت رجلاً بسريرها شبه عار وهي الأخرى كادت أن تصرخ لما حدث ولكن حياءها منعها من أن تفضح نفـسها تماسكت وارتدت ملابسها وأيقظته متسائلة من تكـون نظـر إليها بدهشة وهي الأخرى أصابتها الدهشة والذهول فأقبلـت عليه محتضنة إياه راغبة به مقبلة سعيدة وأطفأت الإضاءة للمرة الثانية وتبادلا حباً وعشقاً وأضاءت شمس النهار بيوم جديـد من أسعد أيام حياتهما. نظرت إليه ونظر إليها وهي غير مصدقة

بأن حبيبها ينام بحضنها تحتمي به وتشعر بخشونة جسده وكأنه زغب من الحرير يلامس جسدها. تنظر في عينيه تريد الإجابة علي سؤالٍ ما فأشار إليها بالصمت بأن وضع أصبعه علي فمها وأنه لا داعي للأسئلة ، غرق في الحب عوضا عن السنوات السابقة. تسمع صوت بهيجة بخارج الحجرة مستوضحة هل أعد طعام الإفطار. تجيبها بأن تعد الحمام أولا كما تخبرها بأن تعمل علي إضافة المزيد من الطعام لوجود ضيف هام معها. عادت بهيجة وهي تعرب لزوجها مغاوري بأن علاء بيه جه امبارح وإحنا في النوم مش شاعرين.. نهضت شيرين وفتحت دولاب ملابسها وأخرجت ملابس مصطفي من داخلية وخارجية وتوجهت به إلي الحمام ودخلت معه تقوم علي مساعدته لينال حماماً مثل بداية عهدهما بالزواج. غادر الحمام وبقيت هي لتحصل علي حمامها وعادت إليه سعيدة فرحة وطلبت من بهيجة بأن ترسل لها بابنها عمرو. حضر الطفل وشاهد أمه جالسة بحجرتها وأمامها رجل جالس يرتدي جلباباً أبيض اللون و لم يشاهده من قبل. أشار إليه مصطفي كما سبق وأن أشار إليه حين كان علي هيئة الصياد. أقبل عليه الطفل سعيداً ، رفعه لأعلي مقبلاً متسائلاً من أنا؟ لم يجب ولكن شيرين أخبرته بأن هذا هو أبوك الذي كان مسافراً وعاد. ابتسم الطفل وأمسك بإصبع والده بقبضة يده ووقف بجوار كرسيه لا يفارقه أبدا.. توجه مصطفي برفقة ابنه عمرو إلي مائدة الطعام بينما توجهت شيرين إلي المطبخ تحادث بهيجة

والتي صرخت ثم أطلقت العديد من الزغاريد والتي تعني الفرح والسرور. أمضي مصطفي يومه حتي اقترب وقـت العـصر ، رغب بان يفاتح شيرين في أمر أسرته الثانية ولكنه تراجع راغبا بأن يمهد لهذا وألا يجعلها في هذا الوقت القصير حتي لا يُعرضها للضغط العصبي.

مساءً أرتدي ملابسه مودعاً ، وقفت أمامه مانعة خروجـه ولكنه طالبها بألا تفعل هذا ووعدها بأنه سوف يعودها كـل عدة أيام حتي ينهي متعلقاته ويستقر معها. مازالـت واقفـة معترضة طريقه إلي باب الحجرة فأقبل عليهـا حانيـا يلثمهـا بقبلاته التي أسكرتها وجعلتها تبيح المحظور.

غادر العوامة وقفز بخفة الهر إلي القارب متوجها جنوبـاً في اتجاه موقع موطنه علي شاطئ النيل. ظلت ترقبه وهو يجـدف بالقارب حتي اختلط نظرها وأصبحت تشاهده كفقاقيع علـي سطح النهر.. عادت إلي حجرتها باسمة ضاحكة تدندن بـبعض الأغاني الجميلة راقصة طرباً فأقبل وليدها فحملته راقصة بـه وهو ضاحكاً سعيداً بأن أمه تلاعبه بلعبة جديدة لم يعتـدها من قبل. ظلت شيرين علي سعادتها هذه انتظاراً لعودته مابين مصدقة ومكذبة ما حدث وهل كان هذا نوع مـن أحـلام اليقظة أو أنه كان حقيقة مؤكدة واستعادت ما جري بينـهما من علاقة حب فأكدت أنها حقيقة ثم هاجمتها الظنون وسألت بهيجة التي أخبرتها بصحة ما كان وما سمعته وشـاهدته بـأن مصطفي بيه عاد ثانية والحمد لله.

زوج الاثنتين

ابتعد جابر عن الناس وظل منكفئا على نفسه يفكر في العثور علي حل يجعله محتفظا بزوجتيه. فالزوجة الأولي هي حبه الأول وأثمر عن الطفل عمرو بينما زوجته الثانية والتي أحبته بعد ان أنقذه إخوها من الموت غرقا وفتحوا له باب بيتهم وأقبلت عليه تعطيه من حبها وحنانها بالإضافة إلي العناية والرعاية والطعام ثم أهدته ابنته سعاد الرقيقة والتي تتبعهم مثل الجرو الصغير متحملة تلك المعيشة الصعبة في القارب. وتذكر الآية القرآنية من سورة الرحمن:

هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ (٦٠) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦١) صدق الله العظيم.

عاد برأسه إلي الخلف مستندا بها علي جذع الشجرة مقررا بأنه سوف يظل متمسكاً بالزوجتين. لم تكن أمامه أي مشكلة من جهة روايح فهو يعلم بأنها سيدة بسيطة ولن يؤثر فيها علمها بزواجه من أخري فهي تعلم ذلك منذ اللقاء الأول. خاصة أن شيرين قد سبقتها بالزواج منه ولكن المشكلة تكمن في شيرين ابنة الباشا والتي ستشعر بأنه لم يكن زوجا وفياً مخلصاً لها مثلها فقد علمت بوفاته وهي شابة صغيرة لم تكمل وقتها الخامسة والعشرين عاماً من عمرها.

بدأ بالأيسر تعاملاً فاقترب من روايح وجالسها بصفاء وود كما كان يحدث بينهما علي ضفة النيل الساحر والتي كانت

تلهب المشاعر والأحاسيس النبيلة لكليهما. تحدث لها قـائلاً:
روايح. تعلمين بأنني أصبت في مشاجرة وأعقبـها إلقـائي في
النهر. هزت رأسها فهذا حديث قديم. عاود حديثه. السـبب
فيما حدث هو زواجي من فتاة جميلة ومن أسرة ثرية وسبق أن
أوضحت لك هذا ورغب شقيقها بعد وفاة والدها بأن ننفصل
ونبتعد عن بعضنا البعض حيث إنني في نظره أقل منهم شـأنا
ومالاً ورفضت هذا فنحن نحب بعضنا البعض ولدينا طفـل لم
يبلغ عامه الأول حينئذ. حدث تراشق بالحديث وزاد وتـوتر
الموقف فحاول الاعتداء علي شخصي فدافعت عن نفسي فأقبل
أعوانه وأسمعوني أقبح السباب وأذاقوني الضرب المؤلم ثم حملوني
وألقوا بي في النهر وأنقذني أشقاؤك وتقابلت معك وشـعرت
بحبي لك وأنجبنا الحبيبة سعاد.. منذ عدة أيـام عثـرت علـي
زوجتي وطفلي وأمس قمت بزيارتهما وعاد الحب والوئام بيننا
راغبين في التئام جرحنا السابق وانا راغبٌ بالاحتفـاظ بـك
وأريد ان اعلم رأيك في هذا. فلك كل الخيارات وسوف أنفذ
ما تقولين ولكن بقليل من الهدوء فكري ولا تتعجلي ردة الفعل
والانفعال الذي يحدث للسيدات حين علمهن بزواج الزوج من
أخري.. ساد الصمت عليهما وشاهد الدموع تجري في عينيها
وأقبلت عليه ونامت علي صدره باكية بصوت مرتفع. حـاول
العمل علي تهدئتها ولكنها مازالت مستمرة وقـد أمـسكت
بجلبابه بقوة ثم نظرت إليه باسمة ووضعت يديها خلف خـصره
وضمته إليها بكل قوة وهي تحادثه.

أنت لم تخطيء وهذا شرع الله وانا لم أبك لأنــك كنــت متزوجا ولكني كنت أبكي سوء تعامل الأغنياء لمن هم أقــل منهم جاها ومالا . نحن الفقراء ليس لنا ثمــن ولهــذا فهــم يتعاملون معنا كأننا من الدواب ولا يقيمون لمشاعرنا أي وزن أو حساب وها أنت قد شاهدت وجربت ماذا حــدث لــك معهم. أرجوك ألا تفعل معي مثل ما فعلوا بك فأنا فقيرة ويتيمة وأعمل مثل الخدم في مترل الأسرة فنحن خلقنا للعمل والعذاب ولم نخلق للتمتع والراحة مثلهم. قف بجانبي لأنك لو تــركتني سوف يسوء حالي وحال طفلتي وسأظل الخادمة المطيعة لــك ويمكنك إنكار أنني زوجتك وإنــك اســتقدمتني كخادمــة لزوجتك الأولي ولا تقربني حتي لا تغــضب مــني وتلقــي بي وبابنتي فى الشارع. جابر أنا الخادمة لكما وحينما تكبر ســعاد تصبح الخادمة لابنك من تلك السيدة فأنا أعلم حالي ومستواي ولن أقامر بمصلحة ابنتي.. بكي جابر بجوارها من صدق حديثها المؤلم فهو يعلم أنهم قوم فقراء يعيشون علي الكفاف منتظــرين رزقهم من النهر الذي يجود به في أيام وأيام أخري يضن عليهم بلقمة خبز جافة. هدهد علي خدها النــاعم الرقيــق والــذي لفحته أشعة الشمس مؤكدا لها بأنه لن يتركها حتي لو خيرتــه زوجته الأولي بذلك فهناك العز والجاه تستطيع أن تحتمي به أما أنت فحالك من حالي.

نظرت إليه باسمة ودموعها مازالت تهبط منــها كــشلال وتحدثه قائلة: لا تفعل هذا .. فأنا منذ تلك اللحظة خادمة لك

يا سيدي جابر!! أصاب جابر الضيق وأنحني علي يدها مقبلاً ، حاولت سحبها مستغفرة الله ، ركز نظره عليها مجدداً كلماته. هذه هي المرة ألأولي والأخيرة بأن تتحدثي بهـذا الأسـلوب وأرجو ان تعلمي بأنك زوجتي وحبيبتي وأم ابنتي. بعد أن ساد صمت ومضي بعض الوقت هدأت النفوس والتصقت الأجساد بعد أن سبقتها الأرواح الطيبة التصاقا وحباً عميقا.

اليوم التالي أخبره "الشيخ مُسعد" رب الأسرة الأولي بأنه لم يتبق أمامهم سوي أيام ثلاثة ويغادرون المكان متجهين لعزبـة سليم حسب وعدهم مع ابن الأمـيرالاي عـزت وسـوف يفتقدوهم ولكنهم سوف يأتون لزيارتهم في تلك البقعة خاصة أن أسرة " الشيخ سَلمان" سوف تظل معكم.

بعد أن غادرت أسرة الشيخ مُسعد المنطقـة متجهـة إلي مغاغة قام جابر بزيارة شيرين حيث أقبل الصيف شديد الحرارة من شهر مايو لهذا العام وبدا واضحاً حالة الانكـسار الـتي صاحبت روايح وهي تعدو خلف جابر محاولة إرضاءه وتنفيـذ رغباته وقد ضايقه هذا الهوان الذي صاحبها وحذرها من هـذا مراراً ولكنها كانت تشعر بخوف مُقبل علي حياتها وحيـاة ابنتها ولهذا رغبت بان تعطيه من صحتها وسعادتها حتي تظـل تحت جناحه مستكينة ذليلة حتي يرضي عنها.. أقبـل جـابر بقاربه إلي العوامة فشاهد شيرين جالسة مع ابنها عمرو ومجـرد أن شاهدته حتي أقبلت علي سور العوامة ملوحة لـه وبادلهـا التلويح وربط القارب وصعد مرتديا ملابس الصيادين وتعانقاً

حباً وسعادة ثم حمل ابنه الذي ردد أسمه ولقبه "بابا" والذي لم يسمعها مصطفي منذ زواجه حيث كان الطفل مازال صغيراً لا يستطيع التحدث ولو بكلمة كما أن ابنته سعاد هي الأخرى لا تستطيع نطق تلك الكلمة لصغر عمرها.

أتت هيجة بالمشروبات المثلجة لهما وطلبت منـــها شـــيرين اصطحاب عمرو معها بناء علي رغبة مصطفي. طلب مصطفي من شيرين التوجه لحجرتها فابتسمت وهي تخبره بأن يؤجل هذا إلي الليل ولكنه أخبرها بأنه يرغب بأن يتحـــدثا في موضـــوع يخصه. تبعها وأغلق عليهما باب الحجرة وسلط شعاع عينيه في عينها فأسكرتها لبعض الوقت فارتمت علي صدره فهدهد علي ظهرها ثم أعادها إلي وضعها وحادثها بكلمات قليلة مُعــبرة عما حدث له منذ إلقاءه بالنيل حتي تلك اللحظة.

كانت شيرين تستمع لحديثه وهي في حالة مـــن التـــوتر ثم ظهرت بعض الدموع بعينيها وكانت تقاوم البكاء بكل إبـــاء وشمم. أنهي حديثه لها فسألته لماذا اندفع وتسرع بهذا الـــزواج الغير متكافئ؟ لم يجبها فقد أخبرها بكل شيء.. حادثته حديث الأنثى الذكية المثقفة المتعلمة: مصطفي سأظل زوجتك علـــي الورق حفاظاً علي حياة ابننا ولا علاقة زوجية بيننا منذ اليوم وأنا مثل الفريك لا أقبل بشريك في زوجي. نظر إليهـــا وقـــد هاجمه الضيق والغضب طالباً منها التروي حتي لا تنـــدفع في قرارها ولكنها سبقته إلي باب الحجرة وطلبت منه بكل هـــدوء مغادرة العوامة وإذا رغب في لقاء ابنه فعليه التوجه إلي عزبـــة

النحلاوي بالفيوم لمشاهدته ولن تحرمه من هـذا الحـق فقـد أخبرها شقيقها أمس بأنه أعد لها كل شيء ولتعد لتحيى بينهم خاصة بعد عودة صافيناز إلي عصمته.. شعر مـصطفي بـأن شيرين قد تضطر إلي طرده وكرامته لن تسمح بهذا. تركها دون وداع وقفز في قاربه متجها جنوبا إلي منطقته وشاهدها وهـي تقف بالعوامة ودموعها منهمرة وتقف بجوارها الدادة أم حافظ تطيب من خاطرها.

شعر جابر بأنه ُهزم في تلك الموقعه وخالجه شعور بالـذل مثل ما شعرت به روايح منذ عدة أيام مضت. كما شعر بأنـه أقل شأنا من زوجته شيرين وكان مـازال واقعـا ً في حبـها وتساءل ماذا تبغي من حديثها بأنها مثل الفريـك ولا تقبـل بشريك لها في زوجها؟ هل ترغب في أن أطلقها أو ماذا تريـد وإذا ظلت بدون زواج فما هي قيمة الحياة؟ دخلـت شـيرين حجرتها بائسة حزينة ، فبعد عثورها علي حبيب قلبها وزوجها ووالد ابنها وبعد أن تذوقت حلاوة لقاءه به منذ أسبوع تفاجئ بأنه متزوج وأصبح فكر وعقل وجسد هذا الرجل تشاركه فيها زوجه لا مجال للمقارنة بينهما.. تتحدث بـصوت مرتفـع .. رغم عروض الزواج التي انهالت علي إلا أنني رفـضتها جميعـا حابسة نفسي لابني ولذكري الزوج الغالي الذي ضحي بحياتـه من أجلي.

أقبل عمرو متسائلا ً أين والده فأخبرته وعيونهـا تغطيهـا الدموع بأنه غادر العوامة إلي عمله وبعد قليل شاهدته يلعـب

بأوراق وبقايا كراسة فمسكتها فإذ هي مذكرات والدها والتي أتي بها شقيقها علاء منذ شهر ونسيت قراءتها ووضعتها في المكتبة ولكن الصغير عثر عليها وقطع منها بعض الأوراق للعب بها. ضايقها هذا فهي من رائحة الحبيب الغالي والدها. أخذتها منه برفق حيث شاهدت أثر دموع راغبة في مغادرة عينيه الصغيرتين ولكنها طيبت من خاطرة وطلبت من بهيجة أن تأخذه معها وتعطيه بعض الحلوي.. نهضت وقامت تعيد ترتيب الأوراق وأتت بورق لصق وقامت علي إعادة الأوراق إلي حالتها الأولي شعرت بعدها براحة شديدة. قررت بأن تقوم علي قراءة تلك المذكرات بدأ من الغد وحزنت وأنبت نفسها لإهمالها هذا الأمر.. منتصف الليل نهضت من نومها تنتفض ضيقاً وتوتراً لما صبه مصطفي في أذنها وقررت من باكر أن تقابل صديقتها صافيناز وتخبرها بما حدث علي ألا تخبر شقيقها علاء بهذا. في صباح اليوم التالي استقلت سيارتها وبرفقتها ابنها والدادة واتجهوا إلي عزبة النحلاوي بالفيوم وهناك استقبلها العاملون بالترحاب وعلي رأسهم ناظر العزبة عم بيومي.. في قصر شقيقها علاء وبعد تناول طعام الغداء ورعاية السدادة لأطفال السيدتين انتحت شيرين بصديقتها صافيناز بعيداً عن الأعين والآذان وأخبرتها بزيارة الأمس وقد ظهرت الدهشة علي وجه الصديقة وشعرت بأن الوضع أصبح صعباً عليهم جميعا سواء شيرين أو الزوجة الثانية أو مصطفي وما هو فاعل فيما أقدم عليه منذ عامين أو يزيد؟

لم تتوصل السيدتان للحل الأمثل ولكن صافيناز حــذرت شيرين بأن الضغط عليه بتلك الكيفية سوف يبعده عنك وعن ابنك ولهذا فيجب عليك الحذر ومراجعة نفسك وما المانع بان يتزوج الرجل زوجة ثانية؟ فهذا حق كفله الله له وكل مـــا تم وجري حتي الآن ناتج من تصرف علاء السيء و لم يجد الرجل أحداً يحنو عليه سوي هؤلاء الصيادين وعاش معهم وتـــزوج منهم.

خلدت شيرين بحجرتها وهي مازالت غير راغبة في استمرار الحياة مع زوجها مصطفي ، كانت تنظر من حين لآخر لطفلها وتحدث نفسها بأن هذا الطفل سوف ينشأ محروما من حـــب والده وحينما ينمو وينخرط في مرحلة الشباب سوف يـــشعر برغبة في لقاء والده ويسير علي نهجه ويتعلم منه كل شيء وقد شاهدت الكثير من الأبناء في تلك الحقبة حتي شقيقها الأحمـــق علاء كان يتبع والده في كل حركاته محاولا تقليد بعضاً مـــن تصرفاته.. لم تستطع النوم وتنبهت لمذكرات والـــدها والـــتي كادت أن تفقدها بيد طفلها. نهضت من جلستها واتجهت إلي حيث تخبئ تلك المذكرات وجلست تقطـــع أوراقهـــا قـــراءة وفهما. انتهت منها قبيل فجر هذا اليوم وقد اعتراها شـــعوراً بالراحة سواء لأنها قرأت سيرة الأب الحبيب أو لأنها شـــعرت برسالة مرسلة منه لها ولشقيقها حيث أخبرها علاء يوم أن قام بزيارتها وأعطاها لها بأن عليها قراءتها لأنها هامة وسوف تفيدها في حياتها كما أفادته هو أيضاً.

صباح اليوم التالي شعرت بحنين إلي مصطفي وأفضت بهذا الشعور إلي صافيناز والتي شعرت بسعادة غامرة التي حاولت أن تدفعها إلي لقاءه ولكنها كانت رافضة حتي يقبل عليها مقدما اعتذاره وحينئذ سوف تسامحه وتوافق علي أن يقوم بزيارة زوجته كل أسبوع يومين أو ثلاث حتي يعدل بينهما كما أمرنا الله عز وجل. معلقة بأن نصف زوج أفضل من لا شيء!!طلبت صافيناز من والدها بأن يرسل إلي مصطفي للقائها في مترله بالزمالك نهاية الأسبوع حين التوجه لزيارة أسرتها وقضاء عطلة نهاية الأسبوع معهم كما تعودت منذ عودتها إلي عصمة زوجها علاء. أقبل مصطفي للقاء صافيناز وأخبرته بكل ما دار بينها وبين شيرين وطلبت منه أن يعيد اللقاء الذي تم بينهما لأول مرة حتي تشعل فتيل الحب بينكما. إبتسم لها ورتبا كل شيء سويا وحددت له الوقت أما المكان فكان معروفا أسفل شجرة التوت المجاورة لماكينة رفع المياه بالحوض الأوسط للعزبة.

في اليوم الموعود طلبت صافيناز من شيرين أن تلحق بها ممتطية حصانها "شهاب" عند ماكينة المياه بالحوض الأوسط وسوف تسبقها للقاء بعض السيدات بالعزبة وتجلسان أسفل الشجرة تتحدثان وتتمتعان ببعض الوقت بين الزراعات. وافقتها وفي الموعد توجهت شيرين إلي المكان وتركت ظهر الحصان متجهة للقاء صديقتها أسفل الشجرة. تسمرت ووقفت مشدوهة وكاد أن يصيبها الإعياء والإغماء حيث شاهدت

مصطفي جالساً أرضاً مادا ساقيه ممسكاً بعود مـــن الحطـــب يخطط به علي أرضية المكان. اقتربت منه وسألته:

- أنت بتشتغل هنا؟ ابتسم لها

- ايوه. انا المهندس المسئول عن العزبة

- وقاعِد كده ليه؟ مش خايف أن الباشا يـــشوفك؟ نظـــر إليها قائلاً :

- يا ريت أشوف الباشا وأشتكيله حالي من بنتـــه الحلـــوة الجميلة اللي بتعاكسني

- أنت باين عليك شقي؟

- يا ريت مكنش بقي ده حالي. دا أنا طيب وابن حلال

- أنت عارف بتكلم مين؟

- ح أكون بكلم ست الحسن؟ أكيد واحده صاحبة بنـــت الباشا اللي مشفتهاش لحد دلوقتي.

نهض طالباً منها الجلوس بعيداً عن أشعة الشمس المباشـــرة وأمسك بدلو معه ، تساءلت إلي أين فأجابها بـــأن الحـــصان راغبٌ في الشراب. عاد بعد قليل ووضع الماء أمـــام الحـــصان فنظرت إليه نظرة حانية متسائلة:

- أنت بتعرف في لغة الخيل؟

- أيوه والغزال كمان

- بس ما فيش هنا غزال

- فيه غزالة حلوة جميلة وحارنة عليْ ومش عارف أعمل إيه؟

- أنا اللي ح أقول لك تعمل إيه؟

- أيوه صحيح. اقترب منها وحملها بين يديه مقبلا لها وبادلته قبلاته وتبادلا كلمات الإعجاب وسارا سويا وقد أمسك بحبل الحصان واتجها إلي الفيلا فتقابلا مع علاء الذي أقبل مسرعاً مرحباً محتضناً زوج شقيقته معتذراً عن كل ما صدر منه.

في داخل الفيلا وبعد أن تبادلا كؤوس الحب والعلاقة بينهما اعتذرت له وأوضحت له بأها ستوافق علي استمرار زواجه من الزوجة الثانية وعليه أن يقوم علي زيارها ثلاثة أيام وقد أسعده هذا وقفز سعيداً وحملها بين يديه مقبلا وجهها ويديها وقفزت الدموع من عيوهما لعودهما مرة ثانية لحياهما ولعدم ظلم روايح هذه الإنسانة الطيبة والتي أحبت جابراً وأعطته كل حياها وإخلاصها وهي راغبة بان تستمر معه ولو خادمة لهما وحين علمت شيرين بقولها هذا زرفت الدموع الغزيرة علي البسطاء من المصريين القانعين الراضخين لقوة وقسوة الأغنياء حتي بالتخلي والتنازل عما هو حق شرعي ومكتسب وأخبرته بمذكرات والدها والتي فتحت عيوها علي الكثير من القيم والمبادئ وجعلتها تعيد النظر في مستقبل حياهما.

وهكذا أراد الله بأن يُصبح مصطفي مهندساً وزوجاً لشيرين النحلاوي ثلاثة أيام والثلاثة الأيام الأخرى يُصبح

الريس جابر الصياد وزوج روايح الفقيرة. ثلاثة أيـــام بـــالفيلا بالعزبة وثلاثة أيام علي سطح قارب صغير بالنيل يعمل ويحيـــا مع البسطاء من المصريين يستنشق مودهم وحبهم ورضاهم بما قسمه الله لهم من رزق وحياة تسير سيراً طبيعيا كسير مياه النهر الخالد بأمر الله القادر الخالق واليوم السابع هو مكافأته لأطفاله يصطحبهما للنزهة سويا يلعبان ويمرحان بجوار الأب الحـــامي المحب لهما.

وهكذا جمع الحب والزواج بين الفقير والغني وصاحب الجاه والسلطة والمسكين الفقير الذي لا يملك من حطام الدنيا شـــيئا وهكذا وضع الله قانونه بالأرض إنه قانون المواريث بنقل ثروة هذا لذاك وثروة الغني إلي الفقير حتي يبسط العدل بين النـــاس فهو صاحب الجاه والمال وقد خلقنا يوم مولدنا حفـــاة عـــراه ونلقاه يوم وفاتنا بنفس الكيفية لا مال ولا جاه.

وسبحان من له الدوام.

*****

تمت بحمد الله

